مجلة
# بينات

فصلية
تصدر عن
رابطة علماء المسلمين

رابطة علماء المسلمين

العدد (٨) ::: شعبان ١٤٤٢هـ ::: مارس ٢٠٢١م

# العالم السلفي الكبير محمد بن العربي العلوي

- تشويه العبادة
- مأرب.. معركة النفس الأخير!
- لمحات وتبصرات في سورة الروم

بسم الله الرحمن الرحيم

# بينات

## رؤيـــة المجلـــة:

تشـكيل وعي المسـلم في القضايا المعاصرة.

## رسالـــة المجلـــة:

مجلـة تحقـق تأصيـل العلـوم الشرعيـة في المجـالات كافـة، وإعطـاء الرؤيـة الشرعيـة حول أوضـاع المسـلمين.

## عـــن المجلـــة:

- هـي مجلـة دورية ربعيـة تصدر عـن (رابطـة علـماء المسـلمين)، وتهتـم بالقضايـا الشرعيـة والفكريـة والعلـوم الإنسـانية، ورصـد وتحليـل واسـتشراف مسـتقبل المسـلمين حـول العالم.

- مجلـة عالميـة تنتهـج منهج أهل السـنة والجماعة بعيداً عـن الغلو والتفريط.

- تخاطـب الدعـاة والعلـماء والمثقفـين والمفكريـن المهتمـين بنهضـة الأمـة وريادتهـا، وتحـث الهمـم وتحـرك القلـوب وتبعـث الطاقـات لمصلحـة الأمـة، وتحـرص عـلى بنـاء الأمـة عـلى العقيدة السـليمة والمنهج القويم ليفقـه واقعـه ويبنـي مواقفه على تأصيـل شرعـي قويـم.

bayyinatre@gmail.com


## هيئـة التحرير

**المشرف العـــام**
الشيخ الدكتور محمد العبده

**المستشـارون**
د. حسن عباس
أ.د. حكمت الحريري
د. عادل الحمد
د. مراد القدسي
أ.د. محمد أمحزون
د. هشام برغش

**سكرتير التحريـــر**
م. محمد حسين



تصدر عن
رابطة علماء المسلمين

# بينات

## في هـــذا العـــدد

**دولة ليبيا ... والحلم الغائب**

## موضوعات العدد


**الافتتاحية**

■ هل يرتفع الخلاف؟
المشرف العام ٤

**ملفات شرعية**

■ خير القرون
أبو عبد الله همام الكعبي ٦

■ لمحات وتبصرات في تفسير سورة الروم
أ. د. حكمت الحريري ٨

■ تشويه العبادة
د. عادل يوسف الحمد ١٤

■ أهمية العلم والعمل
أ. د. محمد أمحزون ١٩

■ الدعاة بين الاعتصام والفرقة
د. كامل صبحي صلاح ٢٦

**قضايا فكرية**

■ الإبراهيمية ضلالة القرن
د. محمد يسري إبراهيم ٣٢

**مكانة العلماء**

■ العالم السلفي الكبير محمد بن العربي العلوي
د. محمد العبدة ٣٧

**المسلمون حول العالم**

■ دولة ليبيا والحلم الغائب
أ. هشام بونوارة ٤٤

■ مأرب معركة النفس الأخير
د. عبد الله بن فيصل الأهدل ٤٧

## الـــرؤيـة:

تكويـن مرجعيـة عالميـة راشـدة لإحيـاء دور العلماء في نهضـة الأمة المسلمة.

## الرســـالة:

تجمـع علمـي منظم من علـماء المسـلمين يسـاهم في توحيد صفوف المسـلمين وجمـع كلمتهم؛ مـن خلال جمـع طاقات العلـماء، وتقديم حلـول شرعيـة للقضايا المعاصرة وفـق منهج أهل السـنة والجماعة.

## الأهـــداف:

(١) المسـاهمة في توحيـد كلمـة علـماء الأمـة وإبـراز مكانتهـم بـين المسـلمين.

(٢) اسـتنباط الأحـكام الشرعيـة للحـوادث والنـوازل وللقضايـا المعـاصرة، ورد الشـبهات حـول الإسـلام ونبيـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفـق منهـج علمـي وبيـان ذلك للمسـلمين.

(٣) كشـف المخططـات المعاديـة للإسـلام والتصـدي لهـا بشـتى الوسـائل المشروعـة.

(٤) تحذيـر الأمـة وحمايتها من المناهج والعقائـد المنحرفة والتيارات الهدامـة وبيان موقف الإسـلام منها.

(٥) التواصـل مع الهيئات الرسـمية والمؤسسـات العلمية والدعوية والإعلاميـة والخيرية فيما يحقـق نهضة الأمة.

alimerdernegi@gmail.com

# هل يرتفع الخلاف؟

المشرف العام

يظن بعض من لم يدرس النفس البشرية، ولم يدرس تاريخ الفرق والأديان والمذاهب، أنه في الإمكان رفع الخلاف بين الناس - لا نقول بين البشر بعامة فهذا من المستحيلات، وكل العقلاء يدركون ذلك - ولكن حتى بين شعب واحد أو دين واحد، فقد خلق الله سبحانه الخلق متفاوتين في الأفهام والطبائع، متخالفين في الآراء والاعتقادات، وإذا أردنا التخصيص وصار الحديث عن المسلمين فسوف نجد الأفهام المتفاوتة في فهم الدين، وسنجد التقصير في الإحاطة بالشريعة والعقيدة، وسنجد الأهواء التي تُبعِد صاحبها عن سلوك الطريق المستقيم، فصاحب الطبع المتشدد ويحاول جر النصوص في القرآن والسنة إلى ما يريد، وصاحب الطبع المتساهل يحاول جر النصوص إلى ما يهوى، وأعداء الإسلام لا يقصرون في بث الشبهات وإشاعة الشهوات.

ولكن الطريق الأعظم، الطريق الواسع الواضح المستبين معروف، وهو الملاذ الآمن ينضوي المسلم تحت لوائه، وقد انضوى تحت لوائه غالب المسلمين خلال قرون، وهو تيار عريض، وأعني تيار أهل السنة، فهم الأكثرية الغالبة، وهم بناة الدول الإسلامية الكبيرة التي حكمت مئات السنين كالدولة الأموية (في المشرق والمغرب) والدولة العباسية

**الطريق الأعظم، الطريق الواسع الواضح المستبين معروف، وهو الملاذ الآمن ينضوي المسلم تحت لوائه، وقد انضوى تحت لوائه غالب المسلمين خلال قرون، وهو تيار عريض، تيار أهل السنة، فهم الأكثرية الغالبة، وهم بناة الدول الإسلامية الكبيرة التي حكمت مئات السنين.**

والدولة العثمانية، عدا عن الدول القوية المتميزة والتي كان لها دور حضاري وعسكري في الدفاع في الدفاع عن الإسلام والمسلمين، كدولة نور الدين وصلاح الدين في الشام ومصر، ودولة المرابطين والموحدين في المغرب الإسلامي. فهذا هو التيار الذي يعتبر مرجعيته الكتاب والسنة ثم الصحابة والتابعين وأئمة الفقه والحديث، ورغم وجود بعض الخلاف داخل هذا التيار إلا أنه لا يصل إلى حد الخصومة والعداوة، ويبقى ضمن دائرة الحوار الهادئ. والقصد هو تكثير ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾، فهذا الذي يجب أن نسعى إليه ونعي خطورة التفرق ضمن هذا التيار الكبير، ونعتني بالوسائل التي تؤلف ولا تباعد، دون التلفيق بين ما هو صحيح وغير صحيح، أو بين السنة والبدعة. وهناك أمور كثيرة لم يختلف عليها أهل القرون المفضلة، ولا بد من جمع الناس على الحق إن أمكن، وإلا فالأهواء موجودة، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾.

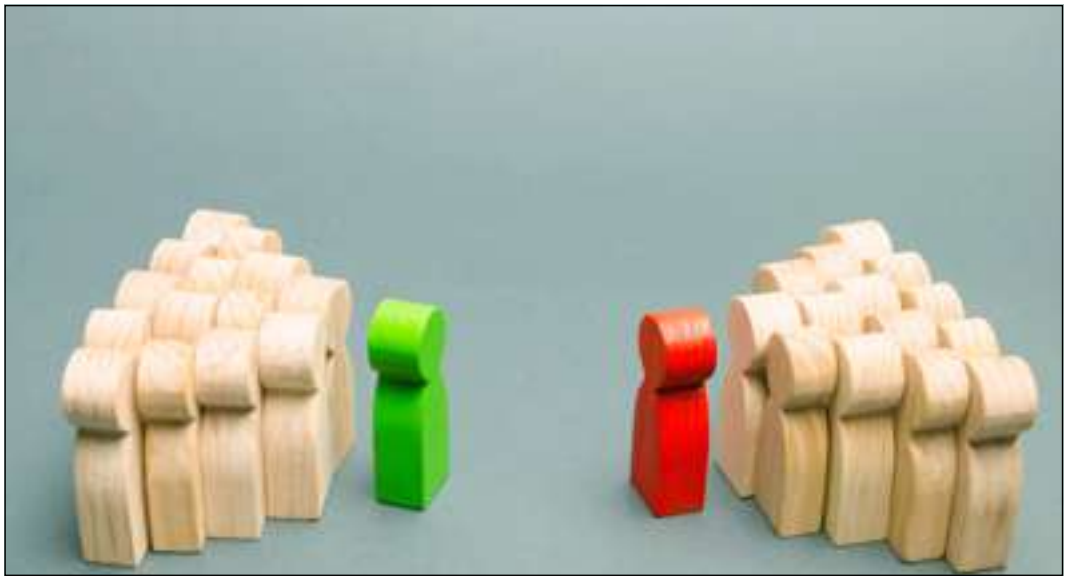

# خير القرون

أبو عبد الله همام الكعبي

الصحابة رضوان الله عليهم خير القرون، ورفقاء سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكما يختار الله الأنبياء يختار أصحابهم لحمل الأمانة من بعدهم وتبليغ رسالاتهم، كما قال عَبد اللَّهِ بنِ مسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنَّ الله نظَر في قلوبِ العباد، فوجَد قلب محمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيرَ قُلوب العباد فاصطفاه لنفْسِه، فابتعثَه برِسالته، ثم نظَر في قلوب العباد بعدَ قلبِ محمَّد، فوجَد قلوبَ أصحابه خيرَ قلوب العباد، فجعلهم وُزراءَ نبيِّه، يقاتلون على دِينه، فما رأى المسلمون حسنًا فهو عند الله حسَن، وما رَأوا سيِّئًا فهو عندَ الله سيِّئ...».

هذا الشرف الذي ناله صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأي شرف أعظم من أن تكتحل عيناك برؤية خير الخلق وأتباعه وحمل الراية من بعده؟

وكما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((... أصحابي كلهم خير، واختار أمتي على الأمم، واختار من أمتي أربعة قرون، القرن الأول والثاني والثالث والرابع)) [رواه البزار].

فقد أعلى الله من مكانتهم في مواضع كثيرة من كتاب الله منها: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ

وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ [الفتح].

**وكان السلف الصالح يُعلِّمون أبناءهم حب الصحابة رضوان الله عليهم، ويقصون عليهم مناقب الصحابة ومواقفهم.**

ووصى بهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال: ((اللهَ اللَّهَ في أصحابي، لا تَتَّخذوهم غرَضًا بعْدي، فمَن أحبَّهم فبحُبِّي أحبهم، ومَن أبغضهم فببُغْضي أبغضهم، ومَن آذاهم فقدْ آذاني، ومَن آذاني فقدْ آذَى الله عَزَّوَجَلَّ ومَن آذى الله يُوشِكُ أنْ يأخذَه)) [رواه الإمام أحمد في مسنده].

بعض ما تقدم يدل على مكانة هؤلاء الكرام، ساداتنا وتيجان رؤوسنا، الذين آمنوا برسول الله ونصروه وعزروه ووقروه وتركوا ديارهم وأهلهم وحملوا راية الإسلام، كما قال الإمام الرازي: «إذا رأيتَ الرجلَ ينتقص أحدًا مِن أصحاب رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاعلمْ أنَّه زِنديقٌ».

فيجب على المسلم أن يذكرهم بخير ويترضى عليهم ويقر بفضله.

وكان السلف الصالح يُعلِّمون أبناءهم حب الصحابة رضوان الله عليهم، ويقصون عليهم مناقب الصحابة ومواقفهم. ومن هذا الباب لعلي أن أقوم بنشر سلسة من الصحابة الذين توفوا في العراق؛ من باب التذكير بفضلهم، ورد جزء يسير من إحسانهم إلى أهل العراق وتبليغهم الإسلام...

فالصحابة الذين مروا على أرض العراق بالآلاف، أما الذين دفنوا فيه وعرفت أماكن قبورهم فبلغوا ٢٠٤ من الصحابة رضوان الله عليهم، وكما أخبر المؤرخون أن العدد أكبر من هذا بكثير حيث بني نصب تذكاري بمدينة الكوفة للصحابة المدفونين فيها، وقيل إن عدد بلغ أكثر من ٤٠٠ صحابي.

والذي حملني على هذا الأمر أن المنشور في سيرة صحابة العراق قليل، وانتشار من يسب الصحابة في أرض العراق ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم...

ولعلي أول ما أبدأ - إن شاء الله - بالصحابة الذين دفنوا في البصرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

والله المستعان والموفق، وألتقيكم في العدد القادم مع سيرة عطرة من سير أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إن شاء الله تعالى -..

# لمحات وتبصرات في تفسير سورة الروم

أ. د. حكمت الحريري

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد، وعلى آله صحبه الطيبين الطاهرين، أما بعد؛

فهذه لمحات وتبصرات بعون الله وحسن توفيقه في (تفسير سورة الروم)؛ كونها تلامس الواقع الذي نعيشه، وتعالج مشكلات قائمة يعاني منها المجتمع الإسلامي. ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٥﴾ [الذاريات]، و﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ٣٧﴾ [ق].

## الأولى: وجه الربط والتناسب بين سورتي العنكبوت والروم:

قال الله تعالى في آخر سورة العنكبوت: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ٦٧﴾.

وقال في أول سورة الروم: ﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥﴾.

فقد أنكر الله على أهل مكة قبح صنيعهم في التغافل عن الاعتبار بحالهم وكونهم مع قلة عددهم قد منع الله بلدهم عن قاصد نهبه، وكف أيدي العتاة المتمردين عنهم، وذلك بوجود البيت الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمنًا.

فلما قدم تذكيرهم بهذا أعقب ذلك بذكر طائفة هم أكثر منهم وأشد قوة

وأوسع بلادًا وهم الروم، ومع ذلك تتكرر عليهم الفتكات والغارات وتتوالى عليهم الغلبات، ولم يغن عنهم انتشارهم وكثرتهم، فذكر غلبة الفرس عليهم، وأنهم ستكون لهم كرة ثم يغلبون، وما ذلك إلا بنصر الله من شاء من عبيده.

**وفقد أنكر الله على أهل مكة قبح صنيعهم في التغافل عن الاعتبار بحالهم وكونهم مع قلة عددهم قد منع الله بلدهم عن قاصد نهبه، وكف أيدي العتاة المتمردين عنهم، وذلك بوجود البيت الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمنًا.**

ولما بين سبحانه في سورة العنكبوت أن المؤمنين يفتنون ويبتلون، وضح ذلك في السورة التالية (الروم) أن أهل الشرك (الفرس) قد يغلبون أهل الكتاب (الروم)، وهذا من جملة الابتلاء والامتحان لأهل الإيمان، ثم تتغير الحال في بضع سنين، فيهزم الله الفرس المجوس، ويحصل النصر لأهل الكتاب في أدنى الأرض ... ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٥﴾.

﴿وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ۝٧﴾ مبلغ علمهم ظاهر الحياة الدنيا وأسبابها المادية الظاهرة فاعتبروا يا أولي الأبصار، وفروا إلى الله الواحد القهار فليس لها من دون الله كاشفة.

**الثانية: من أين اشتق اسم الروم؟**

**قوى الإنسان الثلاث:**

**قوة العقل**، وقوة الغضب، وقوة الشهوة.

فأعلاها القوة العقلية التي يختص بها الإنسان دون سائر الدواب، وتشركه فيها الملائكة، كما قال بعض العلماء: خلق للإنسان عقل وشهوة. فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فالبهائم خير منه.

**ثم القوة الغضبية** التي فيها دفع المضرة.

**ثم القوة الشهوية** التي فيها جلب المنفعة.

وباعتبار القوى الثلاث انقسمت الأمم التي هي أفضل الجنس الإنساني وهم: العرب والروم والفرس.

فإن هذه الأمم هي التي ظهرت فيها الفضائل الإنسانية، وهم سكان وسط الأرض طولًا وعرضًا، فأما من سواهم كالسودان والترك ونحوهم فتبع.

فغلب على العرب القوة العقلية النطقية، واشتق اسمها من وصفها فقيل لهم عرب: من الإعراب وهو البيان والإظهار وذلك خاصة القوة المنطقية.

وغلب على الروم القوة الشهوية من الطعام والنكاح ونحوهما، واشتق اسمها من ذلك فقيل لهم الروم، فإنه يقال: رمت هذا أرومه إذا طلبته واشتهيته.

**وبعد تفهيم القرآن التوحيد وتوضيحه بالبينات، نبه على أن المشركين ليس عندهم شيء من العلم إلا اتباع الهوى؛ فاجتنِب أهواءَهم.**

وغلب على الفرس القوة الغضبية من الدفع والمنع والاستعلاء والرياسة واشتق اسمها من ذلك، فقيل فرس، كما يقال فرسه يفرسه إذا قهره.

ولهذا توجد هذه الصفات الثلاث غالبة على الأمم حاضرتها وباديتها، ولهذا كانت العرب أفضل الأمم، وتليها الفرس لأن القوة الدفعية أرفع، وتليها الروم.

وباعتبار القوى الثلاث كانت الأمم الثلاث: المسلمون واليهود والنصارى؛ فإن المسلمين فيهم العقل والعلم والاعتدال في الأمور، فإن معجزة نبيهم هي علم الله وكلامه، وهم الأمة الوسط.

وأما اليهود فأضعفت القوة الشهوية فيهم، حتى حرم عليهم من المطاعم والملابس ما لم يحرم على غيرهم، وأمروا من الشدة والقوة بما أمروا به، ومعاصيهم غالبها من باب القسوة والشدة لا من باب الشهوة.

والنصارى أضعفت فيهم القوة الغضبية؛ فنهوا عن الانتقام والانتصار، ولم تضعف فيهم القوة الشهوية، فلم يحرم عليهم من المطاعم ما حرم على من قبلهم.

بل أحل لهم بعض الذي حرم عليهم، وظهر فيهم من الأكل والشرب والشهوات ما لم يظهر في اليهود، وفيهم من الرقة والرأفة والرحمة ما ليس لليهود، فغالب معاصيهم من باب الشهوات لا من باب الغضب، وغالب طاعاتهم من باب النصر لا من باب الرزق.

(ملخصًا من مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية المجلد الخامس عشر في تفسير سورة الفرقان).

**الثالثة: ذكر أمر الآخرة:**

لما جاء ذكر أمر الآخرة استدل عليه بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾.

ومن قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن

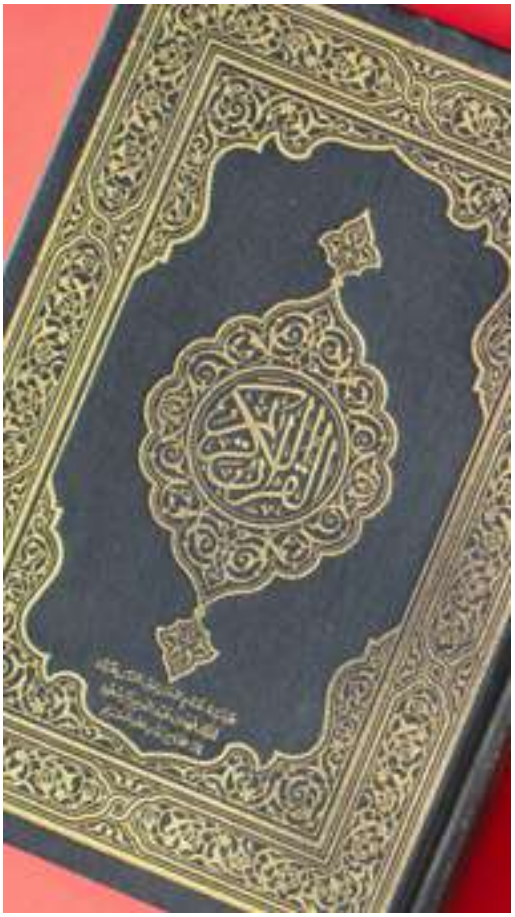

قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ... إلى قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾.

تبشير للمؤمنين وترهيب للكافرين ببيان عاقبة من أساء في عمله وأشرك بالله.

ثم من قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾.

هذه دلائل وآيات بينات للتوحيد والقيامة بأكمل وجه وأتمه، ثم وضح مسألة التوحيد بضرب مثل في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

وبعد تفهيم التوحيد وتوضيحه بالبينات، نبه على أن المشركين ليس عندهم شيء من العلم إلا اتباع الهوى؛ فاجتنب أهواءهم.

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ ... إلى قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

ثم ذم المشركين بأنهم ينيبون إلى الله عند مس الضر، ويشركون إذا أذاقهم منه رحمة.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾، وقال جل ذكره: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

ولما ذكر سبحانه مسألة بسط الرزق فرَّع عليه الإنفاق على الأقرباء والمساكين وابن السبيل، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

ثم أعلمَ أن من ينفق في سبيل الله يطمع الزيادة والمضاعفة من الله الغني الرزاق مالك الملك، وهو حلال طيب مستحسن. ومن يؤتي الربا يطمع الزيادة من المديون المحتاج وهو حرام قبيح.

وهذا ربط التقابل والتضاد، حيث يذكر مسألة الإنفاق في سبيل الله وحرمة الربا في القرآن مقارنتين.

وحاصل هذا الربط أنْ أنفِقوا في سبيل الله وارجوا الزيادة من الله ومضاعفة الأجر والرزق من عند الله، ولا تؤتوا المال للمحتاج الفقير على جه الربا، ولا ترجوا الزيادة والمضاعفة من المديونين المحتاجين المفتقرين الذين هم أدنى حالًا وأقل مالًا.

### الرابعة: ربط المقابلة والتضاد في القرآن الكريم:

إن من يتأمل في مواضع مختلفة من سور القرآن يجد أنه يعمد إلى ربط المقارنة بين الخير والشر، وبين الحق والباطل، وبين المؤمنين والكافرين، وبين الظلمات والنور، وبين الزكاة والربا، وبضدها تتبين الأشياء. فالمرابي يطلب الزيادة من المحتاج الفقير مثله، والمؤمن يطلب الزيادة والمضاعفة من الذي بيده ملكوت كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

**من يتأمل في مواضع مختلفة من سور القرآن يجد أنه يعمد إلى ربط المقارنة بين الخير والشر، وبين الحق والباطل، وبين المؤمنين والكافرين، وبين الظلمات والنور، وبين الزكاة والربا، وبضدها تتبين الأشياء.**

ولما كان الحج والعمرة من أصناف الجهاد أيضًا ذكر موضوع الحج بعد ذكر آيات القتال في سورة البقرة؛ لأن فيهما جميع ما في الجهاد من مفارقة الأوطان والأحبة والإخوان وتجشم صعوبات السفر والهجران، فهذا من وجوه الربط والتناسب في القرآن الكريم.

ثم استدل على التوحيد بأن كل ما يرى من الفساد في البر والبحر من الزلازل والقحط والعواصف والغرق والأمراض الفتاكة فبما كسبت أيدي الناس، فقال سبحانه: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾. والباقي مؤخر إلى يوم الفصل.

ثم رهبهم بذكر عاقبة من سبق مثلهم، فقال: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

ثم أعاد ما سبق ذكره من قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ في قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾، ثم من قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ ... إلى قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾، فيها تبشير المؤمنين وترهيب الكافرين ودلائل لتوحيد الله وقدرته ودلائل الحشر والنشر والقيامة.

ثم في ختام السورة - كما هو أسلوب الوعظ والتوجيه والنصح - قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

# تشويه العبادة

د. عادل يوسف الحمد

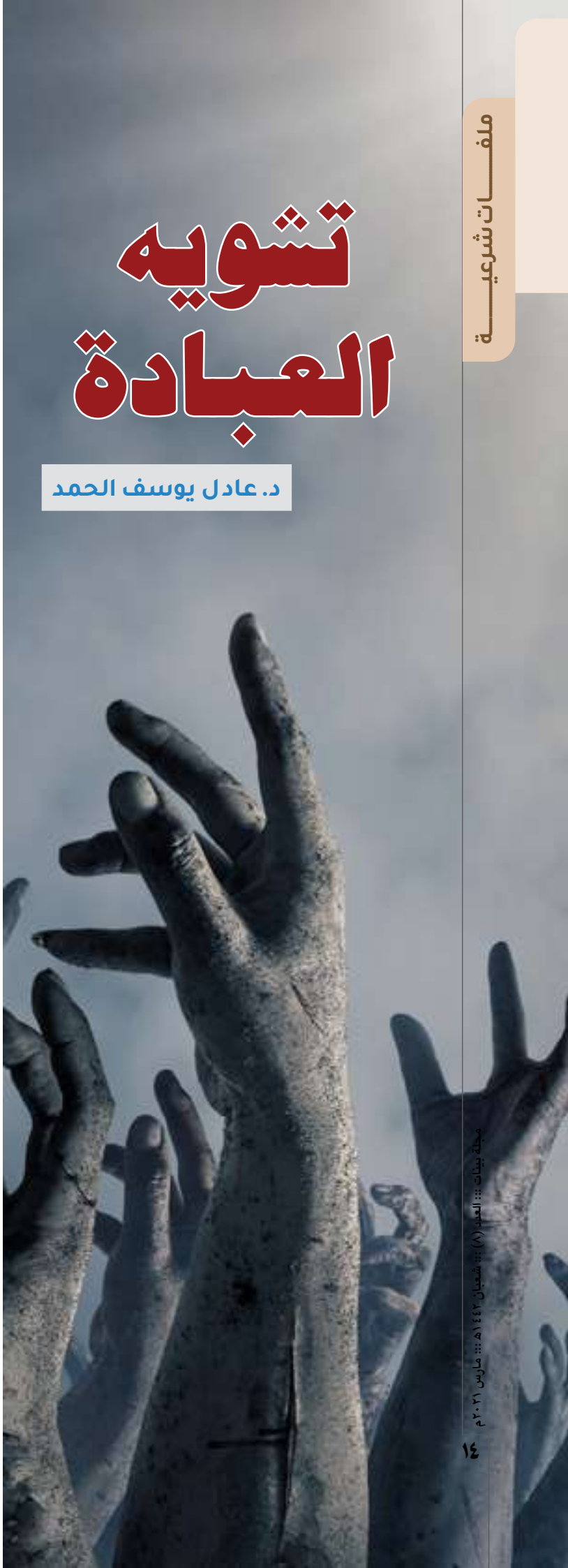

إنَّ هذه الأُمَّة محسودة على تشريعاتها العظيمة التي تجمع قلوب أفرادها، وتوحد كلمتهم، وما حَسَدهم أحدٌ مثل ما حَسَدهم اليهود والنصارى، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩] وقال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ [البقرة] وهذا هو الحسد.

فاليهود والنصارى يحسدُوننا على الإسلام جملةً وتفصيلًا. ومن ذلك حَسدهم لنا على السَّلام، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَا حَسَدَكُمُ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ مَا حَسَدُوكُمْ عَلَى السَّلامِ وَالتَّأْمِينِ)). [رواه البخاري في الأدب المفرد، وابن ماجه].

لماذا يَحسدُوننا على السَّلام؟! لأنَّ صيغة السَّلام ليس لها مثيلٌ عند اليهود والنصارى، وهي سببٌ للألفةِ والمحبةِ بين المسلمين، لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ)). [رواه مسلم]. وإذا تحابَّ المسلمون وتَوَحَّدت كلمتهم لم يقدر عليهم عدوهم.

لذلك حرصوا على تشويه عبادة السَّلام باستحداث صيغٍ أخرى تُبعد المسلمين عن المشروع لهم، مثل (صباح الخير) و (مساء الخير) وغيرها.

**اليهود والنصارى يحسدُونا على الإسلام جملةً وتفصيلًا.**

فهل نَترك ما يجمع قلوبنا ويَوَحَّد كلمتنا من صيغة السَّلام إلى ما يفعله اليهود والنصارى؟!

لم يقف الأمر عند هذا الحدِّ، بل سعى أعداء الأُمَّة إلى تشويه صُوَر العبادة المتعلقة بأركان الإسلام، مثل الحجِّ، والصيام، والصَّلاة.

أما الحجُّ، والذي هو أكبر تجمُّع للمسلمين على عبادة مشروعة، فقد اختار الله عزَّ وجلَّ له الزمان والمكان، فجعله مرتبطا بالأشهر القمريَّة (الهجريَّة)، ولم يربطه بالأشهر الشمسيَّة (الميلاديَّة)، واختار له مكة المكرَّمة، واختار لضيوفه حُجَّاج البيت العتيق أنْ يتوجهوا إلى مِنى في اليوم الثامن من ذي الحجة، ثم اختار لهم أنْ يَقفوا بعرفة خارج الحرم، ثم اختار لهم أنْ يستريحوا بالمزدلفة ليلة العيد، ثم يرجعوا إلى مِنى أيَّام التشريق، ويختموا حَجَّهم وقد غَفر الله لهم ذُنُوبهم وعادوا كيوم ولدتهم أمَّهاتهم.

ولم يسلم الحجَّ من التشويه، فقد ركز أعداء الأُمَّة على تكوين صورةٍ سيئةٍ عن الحجِّ تتعلق بالأمراض، فألزموا النَّاس بالتطعيم من عدة أمراض، وركزوا في التوعية على قضايا الأمراض والعدوى، وضَخَّموا ذلك كثيرًا حتى وقع في نفوس النَّاس أن من يذهب إلى الحجِّ يمرض

أو يموت. وليس المقصود بالطَّبع هو تَرك الأخذِ بأسباب الوقاية والسَّلامة، ولكن لماذا لا نجد مثل هذه التَّحرزات والتَّطعيمات في أيِّ تجمع عالمي رياضي مثلاً أو غيره، وكأنَّ الأمراض لا يُصاب بها السُّياح في بلاد الغرب، ولا تنتشر الأمراض في الملاعب الرياضيَّة العالميَّة!

وتَناسَوا المعاني العظيمة في الحجِّ، فلم يتعرضوا لها، بل يا ليتهم ركَّزوا في حملاتهم الإعلاميَّة على بيان كيفية الحجّ وتَوازنوا في طرح القضايا الصحيَّة ليتحقق المطلوب من هذا الاجتماع العظيم، ولكن مع الأسف كان التركيز على جانب دون آخر، فشوهوا عبادة الحجَّ.

فهل الحجُّ يجلب الأمراض، والتجمعات العالميَّة للرياضة وغيرها ليست كذلك؟!

وكذلك الصيام ناله ما نال الحجِّ مِنَ التشويه، لتتغير صُورة شهر العبادة، وشهر التقوى، وشهر الصبر، إلى شهر الفوازير والمسابقات عند الإفطار، والمسلسلات الماجنة وقت صلاة التراويح، والدوري الرياضي الرمضاني، وبرامج الأكل والطبخ، والتي يُحَضَّر لها قبل رمضان بستة أشهر على الأقل، يشغلون الناس بها عن تحقيق العبادة والتقوى، فشوهوا عبادة الصيام.

فهل شرع الله الصيام لننشغل بمثل هذا؟!

هذا التشويه لعبادة الحجِّ والصيام، لا يقوم به اليوم اليهود والنصارى، وإنَّما تقوم به أجهزة رسميَّة تابعة لحكومات المسلمين؛ مثل هيئات الإعلام والصحَّة بمختلف مسمياتها، وقد يشارك في ذلك بعض الجهات المرتبطة بالحجّ مثلا، مثل إدارات الحج الخاصة أو الرسمية في بعض الدول، فتمنع النَّاس مِنْ أداء المناسك كما فعلها النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا مبيت في مِنى، ولا المزدلفة، ولا يعرفون يوم التروية، ولا يختارون ما اختار الله للحجاج من السكنى والضيافة.

**جاء (كورونا)، فجاء دور المساجد والصَّلاة لتشويه صورتها عند النَّاس، فأغلقوا المساجد، ومنعوا صلاة الجُمُعة مِنْ أنْ تُقام، وأشعروا النَّاس بأنَّ أخطر مكان عليهم يمكن أنْ يصابوا فيه بهذا الفيروس؛ هو المساجد، وخاصة صلاة الجُمُعة!**

ثم جاء (كورونا)، فجاء دور المساجد والصَّلاة لتشويه صورتها عند النَّاس، فأغلقوا المساجد، ومنعوا صلاة الجُمُعة مِنْ أنْ تُقام، وأشعروا النَّاس بأنَّ أخطر مكان عليهم يمكن أنْ يصابوا فيه بهذا الفيروس؛ هو المساجد، وخاصة صلاة

الجُمُعة. ثم لما فُتحت المساجد؛ شَرعوا لهم مِنَ التعليمات ما يزيد في تشويه صورة عبادة الصَّلاة في نفوسهم؛ فأمروهم بالتباعد داخل المسجد، مع أنهم جاؤوا في سيَّارة واحدة، وكانوا في مكانٍ واحدٍ قبلها، ووقفوا بعد الصَّلاة بمسافة أقرب مما هي بينهم في الصَّلاة، ويجلسون على مائدة واحدة للأكل، فإذا أقيمت الصَّلاة تراهم يتباعدون! مع أن نبينا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ)). [رواه البخاري]، وإذا اختلفت الوجوه، اختلفت القلوب.

فتسوية الصُّفوف والتراصُّ فيها، سبب للألفة والمحبة بين المصلين، وهذا الذي يزعجهم.

ثم منعوا صلاة الجُمُعة التي هي أكبر تجمُّع أسبوعي للمسلمين على عبادة مشروعة، ينهلون منها التوجيه والتربية على معاني الإسلام العظيمة. ولم يمنعوا التجمُّع والازدحام في الأسواق.

فابتعد بعض الناس عَن الصَّلاة، وضَعُف إيمان بعضهم، وغُيِّبت عَنْ بعضهم حقائق الأحداث التي كانت تُوضَّح لهم في خُطب الجُمُعة، وأصبح الإعلام هُوَ الذي يسيرهم، وأصبح (كورونا) هو شغل الناس الشاغل، فمررت أمور من تحته، وتحققت أهداف بسببه، والناس عنها منشغلون.

ثم جاء (كورونا) مرة ثانية يقولون (طور نفسه!) ليغلق المساجد التي فتحت، ويبعد الناس عن صلاة الجُمَع والجماعات. ويعيش النَّاس بلا مساجد ولا تذكير بالله مرة ثانية.

فلماذا يشوهون هذه العبادات؟! ولمصلحة من يفعلون ذلك؟!

لنتأمل قول الله تعالى في القرآن الكريم لعلنا نعرف بعض الأسباب، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ

وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإسراء].

ولكن الظَّلام لا يدوم.

**نَّ الذين هَجَرُوا عبادة الله، لا يتألمون لإغلاق المساجد، ومَنْع الجُمَع والجماعات، وصلاة التراويح، والحجّ، إنَّما يتألم مَنْ تعلَّق قلبه بها، وعاش عليها، ويرجوا أنْ يموت عليها.**



قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النـــور].

وقـــال ســـبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبـــة].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنبياء].

إنَّ الذين هَجَرُوا عبادة الله، لا يتألمون لإغلاق المساجد، ومَنْع الجُمَع والجماعات، وصلاة التراويح، والحجّ، إنَّما يتألم مَنْ تَعلَّق قلبه بها، وعاش عليها، ويرجوا أنْ يموت عليها.

جعلني الله وإياكم مِن أهل الصلاح والعبادة..

# أهمية العلم والعمل

أ.د. محمد أمحزون

العلم هو مجموعة من المعارف المتجانسة والمتناسقة التي يعتمد في الحصول عليها على المنهج العلمي.

والبحث العلمي هو محاولة لاكتشاف المعرفة، والتنقيب عنها، وتنميتها وفحصها وتحقيقها، بتقصٍّ دقيق؛ لتوضيح مشكلة ما أو حلها. ويسير ذلك في إطار سلسلة من الخطوات، ابتداء من التعرف على المشكلة واستقراء مفرداتها، وانتهاء إلى استنتاجات لها علاقة بظاهر موضوع البحث(١).

والعلم الذي يعنينا هاهنا هو العلم الشرعي، وهو علم ما أنزل الله جل شأنه على رسوله ﷺ من البينات الهدى، والفرقان بين الحق والباطل لإقامة الحجة على الناس.

ولأن العلماء هم ورثة الأنبياء، فقد رفع الله عز ذكره مقام العلماء بأن قرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته على حقه الذي هو إفراده سبحانه بالعبادة، إذ قال عز من قائل: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران]. وقال جل ثناؤه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

(١) علي مقبول: مناهج البحث العلمي، ص ١٧-١٨، (بتصرف).

كما وصف تبارك وتعالى العلماء المخلصين بالخشية منه سبحانه وبالإيمان بكتابه، فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]. وقال جل ذكره: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران].

وقدَّم سبحانه العلم على الإيمان؛ لأن الإيمان الصحيح لا يكون إلا بالعلم الصحيح فقال سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الروم]، كما أنه تعالى لم يأمر نبيه أن يسأله الزيادة في شيء إلا من العلم: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه]، ووصف جل ثناؤه العلم بالروح؛ لأنه يحي القلوب، وهو النور الذي يضيء الطريق، وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

ويأتي العلم بالعقيدة على رأس العلوم الشرعية؛ وهو أجلُّ المعارف وأشرفها.

ويورث المؤمن الموحد ثمرات عظيمة وفوائد جليلة، تؤثر تأثيراً واضحاً في سلوكه الإيماني، وتعود عليه بالصلاح والفلاح في دنياه وآخرته.

والعلم بعقيدة التوحيد مفتاحه طلب العلم الشرعي، إذ به قوام الدين والدنيا. وهو فريضة على كل مسلم ومسلمة.

فلا بد من التعلم قبل العمل؛ لأن العلم هو الميزان الذي توزن به الأقوال والأعمال. وهذه قاعدة أساسية في منهج السلف يكررها علماء هذا المنهج ويؤكدونها، وتجدها عنواناً بارزاً في الجامع الصحيح للبخاري «باب العلم قبل العمل»[١].

قد يقول قائل: هل نعطل العمل والدعوة والجهاد حتى نتعلم؟ فيقال له: التعلم نفسه عمل، إنه بداية الطريق، ألم تسمع قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ((من سلك طريقاً يطلب فيه علما سهل الله له طريقاً إلى الجنة))[٢].

**إن الذين لم يفهموا المنهج الصحيح لقلة علمهم وبضاعتهم أو لا يحاولون فهمه بسبب جهلهم و تعنتهم، إنهم يتعبون الأمة ولا يخدمون الدعوة، فلماذا لا يتعلمون أولاً؟ علماً بأن المفاهيم الأساسية في العقيدة إذا لم تكن صحيحة وأصابها الانحراف فكل ما يستند إليها سيلحق بها...**

(١) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب العلم، ج ١/ ٢٥.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم، ١/ ٢٥.

أما من غلبته العجلة وبدأ بالدعوة بغير علم يخشى عليه عدم الوصول إلى مبتغاه. وبناء على ذلك، فنشر العلم الشرعي الصحيح المبني على الدليل واجب على من يستطيعه، والاستعداد لذلك بطلب العلم واجب آخر.

إن الذين لم يفهموا المنهج الصحيح لقلة علمهم وبضاعتهم أو لا يحاولون فهمه بسبب جهلهم و تعنتهم، إنهم يتعبون الأمة ولا يخدمون الدعوة، فلماذا لا يتعلمون أولاً؟ علماً بأن المفاهيم الأساسية في العقيدة إذا لم تكن صحيحة وأصابها الانحراف فكل ما يستند إليها سيلحق بها؛ لأنه على فهمها يترتب فهم سائر الأحكام، وانطلاقاً منها توزن الأقوال والأحداث.

فمثلاً لا يمكن عرض الانحرافات الجوهرية اليوم بين المسلمين، مما يتعلق بجوانب الاعتقاد، مع بيان خطرها وتأثيرها والتحذير منها، حتى يكون الداعية ملماً بأركان توحيد الألوهية الثلاثة وهي: إفراد الله بالحكم، وإفراد الله بالولاء، وإفراد الله بالنسك.

فالجاهل بتوحيد الحكم يكون عاجزاً عن طرح قضية الحكم بغير ما أنزل الله، وحكمه الشرعي، وأهمية رد الأمور كلها إلى الله تعالى؛ لأن هذا هو مقتضى الإسلام والتسليم، وشرط الإيمان الذي لا يكون إلا به. وبذلك لا يكون مؤهلاً لتربية الأفراد على الولاء لشريعة الإسلام، والحذر من تنقُّصها أو اعتقاد أفضلية غيرها، أو مساواته لها، أو جواز الحكم بغيرها، حيث يصبح الإيمان المطلق بشريعة الله قناعة راسخة لدى المخاطبين، حتى لو فرضت عليهم النظم الوضعية الجاهلية.

ومن لا يعرف توحيد الولاء لا يمكنه الحديث عن مولاة الكافرين والمنافقين، وحكمها وتأثيرها على النفوس، والخطر الزاحف بسببها سواء كان على مستوى الفرد أو الجماعة أو المجتمع مع التركيز على ضرورة استقلال الأمة المسلمة وتميزها، واستعلائها بإيمانها وشريعتها على الأوضاع والعقائد الجاهلية.

**لا يمكن عرض الانحرافات الجوهرية اليوم بين المسلمين، مما يتعلق بجوانب الاعتقاد، مع بيان خطرها وتأثيرها والتحذير منها، حتى يكون الداعية ملماً بأركان توحيد الألوهية الثلاثة وهي: إفراد الله بالحكم، وإفراد الله بالولاء، وإفراد الله بالنسك.**

فالحديث عن الولاء والبراء وربطه بقضية العقيدة الذي هو من صميمها؛ أصبح مطلباً ملحاً مع لحوق كثير من

المنسوبين إلى هذا الدين بمعسكرات الكفر، ومع ربط كثير من الأمم المسلمة مصيرها بالكافرين، ومع الولاء السافر المكشوف الذي يعطيه الحكام لأعداء الإسلام، ومع الانفتاح الرهيب للمسلمين على المجتمعات والشعوب الوثنية والنصرانية وغيرها في الميادين كافة.

ومثل هذا وذاك التركيز على توحيد النسك في البلاد والأماكن التي جهل فيها الناس معنى الألوهية وصرفوا العبادة للشيوخ والأولياء، وقدسوا الأضرحة أكثر من تقديس المساجد.

وتحقيقاً لمطلب الاجتهاد، فإن الإسلام يحث على إيجاد نخبة متخصصة من أبنائه تفني أعمارها في طلب العلم وتقعيد قواعده وتفريع مسائله، وإمداد الأمة بالرأي الشرعي فيما يعرض لها من أحداث متلاحقة وتطور مستمر.

لكن يجب التحذير من الاجتهاد في دين الله تعالى دون علم وضوابط أصولية، ودون استكمال المدة اللازمة للمجتهد، فإن العودة إلى ينابيع الشريعة والاستقاء منها دون ضوابط دقيقة وكفاءة عالية يؤدي إلى الفوضى، وهو ما يؤجج نيران الفرقة والخلاف بين الأفراد، ويولد التناقضات الكبيرة والانقسامات العنيفة بين الجماعات الإسلامية.

وقد بدت فعلاً طلائع هذه الفوضى في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، حيث فقد الشباب الثقة بعلماء بلدانهم لأسباب عدة، فمضوا إلى القرآن والسنة يسعون إلى فهمهما والاستنباط منهما مباشرة دون معرفة بأصول الفقه ومصطلح الحديث، ودون الغوص في علوم اللغة ومعرفة أسرارها البلاغية والبيانية، فتحول طلاب الجامعات وشباب الدعوة من مختلف

التخصصات إلى مفتين وفقهاء مجتهدين، ولا يخفى ما في ذلك من جرأة عظيمة على دين الله تعالى.

**إن الفهم القاصر والتشويش الظاهر عند كثير من شباب الدعوة في بلادنا أثر من آثار التلقي المباشر من الكتاب والسنة دون ترشيد من الشيوخ والعلماء المتخصصين، ودون إفادة أحياناً من التراث الفقهي الذي يوضح مفهوم العلماء والمجتهدين الأفذاذ لهذه الآيات والأحاديث في عصور الاجتهاد..**

وقد كان معظم السلف يتورع عن الفتيا مع امتلاك الأدوات العلمية خوفاً من الخطأ، فكيف بمن لا يمتلك شيئاً من تلك الأدوات، ويرى نفسه أهلاً للاجتهاد والترجيح بين الآراء وإصدار الفتاوى. وقد قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من رأى المسألة في عشرة كتب مثلاً، لا يجوز له الإفتاء بها لاحتمال أن تلك الكتب كلها ماشية على قول أو طريق ضعيف»[1].

فكيف الحال بعد نشر الصحيح والضعيف والموضوع من الأحاديث، وهو كثير جداً، ودون معرفة الراجح من الأقوال المتعارضة في التفسير والفقه والتاريخ، وهو ما يولِّد مشكلات جديدة وصعوبات فائقة للباحث في التراث الإسلامي الذي قد يبني كلاماً طويلاً على رواية ضعيفة أو موضوعة وهو لا يدري.

إن الفهم القاصر والتشويش الظاهر عند كثير من شباب الدعوة في بلادنا أثر من آثار التلقي المباشر من الكتاب والسنة دون ترشيد من الشيوخ والعلماء المتخصصين، ودون إفادة أحياناً من التراث الفقهي الذي يوضح مفهوم العلماء والمجتهدين الأفذاذ لهذه الآيات والأحاديث في عصور الاجتهاد. إن الدراسة المتأنية لواقعنا العلمي تؤكد على ظهور حالات التمزق والتمرد وما يترتب عليها من الانحراف والضلال واتباع الهوى، والتعصب للأفكار، وتقديس الأشخاص، وغير ذلك من الأمراض التي تعصف بالدعوة. ولن يستقر الشباب على النهج الصحيح إلا إذا ظهر علماء عاملون يمتازون بسعة العلم، وعمق الوعي الحضاري، والورع والإخلاص لله تعالى، ليحتضنوا الأجيال الصاعدة، ويوثقوا صلتهم بها ويأخذوا بأيديهم إلى معالم الحق والهدى.

وقد أرسى ديننا الحنيف قواعد أصيلة في التفكير والاستدلال، لتكون الهداية على أساس علمي متين. ومن هذه القواعد:

(١) ابن حجر الهيثمي: الفتاوى الحديثية، ص ٢٠.

(١) تعظيم العلم الشرعي والرفع من منزلته، وذم الجهل والتحذير منه.

(٢) الإخلاص والتجرد في البحث عن الحق.

(٣) تحريم القول على الله تعالى بلا علم، وهذا يقتضي أن يتوقف الإنسان فلا يعتقد اعتقاداً ولا يقول قولاً حتى يتبين له ذلك بالعلم الصحيح.

(٤) الاعتماد على الحجة البرهان؛ لأن العلم الصحيح يفيد اليقين ويقوم على الدليل[١].

على أن منهج الاستدلال وتلقي العلوم عند أهل السنة يقوم على الأصول التالية:

**الأصل الأول: تعظيم النصوص الشرعية.**

**الأصل الثاني: الاعتماد على الأحاديث الصحيحة.**

**الأصل الثالث: صحة فهم النصوص[٢].**

إن منهج تعظيم النصوص الشرعية من الكتاب والسنة الصحيحة، وفهمها على منهج السلف، والانقياد لها خِلْواً من المعارضات المرفوضة التي تتكئ إلى القياسات العقلية الفاسدة والأهواء المنحرفة، لهو المنهج القويم الذي يجب أن تدرس وتفهم به أصول الدين من مسائل الاعتقاد والسلوك، ثم فروعه وأحكام الحلال والحرام، وبه يستبان سبيل المجرمين، ويفهم الواقع الصحيح للحياة.

**لا يتصور حصول الاستقامة في القول والعمل والسلوك إلا بصحة العلم، ومعناه أن يكون العلم مقتبس من مشكاة الوحي. فكلما وجد العلم بأصول الدين وفروعه ومقاصده، ووزنت الحركات والسكنات والمواقف بميزان الشرع، كانت الأقوال والأفعال مسددة عادلة متوازنة.**

وهناك أمر مهم ينبغي التفطن له والتنبيه إليه، وهو علاقة العلم بعمل القلب. فالعلم هو أساس ومنطلق معرفة الحق وسلوك الصراط المستقيم، وهو المصباح الذي يضيء للإنسان الطريق كي يبتعد عن الشبهات والشهوات والأهواء.

ولذلك إذا لم يصاحب العلم إخلاص وتقوى وخشية يدفع بها الهوى لم يكن للعلم فائدة، بل يصبح وبالاً على صاحبه قائداً له إلى نار جهنم، عياذاً بالله تعالى.

والقرآن الكريم يبين تلك العلاقة العضوية بين العلم النافع وعمل القلب في

---

(١) أحمد الصويان: منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة، ص ٢٢-٢٤ (بتصرف).
(٢) المرجع السابق نفسه، ص ٣٠.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج].

ومعنى الآية الكريمة أن الذين أوتوا العلم النافع الذي يفرقون به بين الحق والباطل متيقنون أن ما أنزله الله تعالى على نبيه عليه الصلاة والسلام هو الحق، فيصدقوه وينقادوا له؛ لأن القلب هو موطن الإقرار والخضوع والإخبات لله تعالى[1].

وفي السورة نفسها يفسر القرآن الكريم الإخبات في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] أي يخافه ويخشاه حق خشيته العلماء الربانيون العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة القلبية للخالق البارئ، فاطر السموات والأرض، العليم القدير، الموصوف بصفات الكمال والمتفرد بنعوت الجلال أتم والعلم أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر.

ولذلك قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم عن كثرة الخشية»[2]. وفي هذا السياق قال مالك رحمه الله: «إن العلم ليس بكثرة الرواية، وإنما العلم نور يجعله الله في القلب»[3].

وخلاصة القول: إن القلب موضع الإيمان والنية والعمل؛ لأن كل حركة أو موقف لا يكونان إلا بإرادة قلبية. ولذلك ينبغي أن نعتني بأعمال القلوب، ونضعها في أعلى سلم الأولويات، ونهتم بتزكية قلوبنا وترويضها على الصدق والإخلاص والإخبات والرضا والخشية والإنابة إلى الله تعالى؛ لأن العالم إذا نوى بعلمه طلب الدنيا والرياء حبط عمله وتبدلت المثوبة في حقه عقوبة وعذابا، نسأل الله تعالى السلامة، وهو ما يدل على الأهمية الخاصة لعمل القلب.

في الختام، لا يتصور حصول الاستقامة في القول والعمل والسلوك إلا بصحة العلم، ومعناه أن يكون العلم مقتبس من مشكاة الوحي. فكلما وجد العلم بأصول الدين وفروعه ومقاصده، ووزنت الحركات والسكنات والمواقف بميزان الشرع، كانت الأقوال والأفعال مسددة عادلة متوازنة.

وعلى العكس من ذلك، فإن الشبهات والأهواء مصدرها الجهل بالدين وقواعده ومقاصده وأحكامه، وعدم الوزن بميزان الشرع القويم، مما يؤدي إلى الإفراط أو التفريط، كما هو شأن أهل البدع والأهواء الذين تتأرجح مواقفهم بين الغلو والجفاء.

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ٥/٤٤٦.
(٢) المصدر السابق نفسه، ٦/٥٤٥.
(٣) المصدر السابق نفسه، ٦/٥٤٥.

# الدعاة بين الاعتصام والفرقة

د. كامل صبحي صلاح

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فإن تآلف قلوب الدعاة والعلماء، واجتماع كلمتهم، وتزكية نفوسهم، هو مطلب شرعي، وفرض عيني، أمرت به وحثَّت عليه النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، ومنها قوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران].

ففي هذه الآية يأمر تعالى عباده بالاعتصام بدينه وشرعه، لأن في ذلك صلاح دينهم ودنياهم، وينهاهم عن التفرق الذي فيه فساد دينهم ودنياهم.

وفي هذه الآية دليل على أن الله تعالى يحب من عباده أن يذكروا نعمته بقلوبهم وألسنتهم ليزدادوا شكرا له ومحبة، وليزيدهم من فضله وإحسانه، وإن من أعظم ما

يذكر من نعمه نعمة الهداية إلى الإسلام، واتباع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واجتماع كلمة المسلمين وعدم تفرقها.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران].

ففي هذه الآية ينهى الله جَلَّ وَعَلَا عباده المؤمنين أن يكونوا كأهل الكتاب الذين وقعت بينهم العداوة والبغضاء فتفرَّقوا شيعاً وأحزاباً، واختلفوا في أصول دينهم من بعد أن اتضح لهم الحق، وأولئك مستحقون لعذابٍ عظيم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام].

يخبر جَلَّ وَعَلَا عن حال الذين فَرَّقوا دينهم بعد ما كانوا مجتمعين على توحيد الله والعمل بشرعه، فأصبحوا فِرَقاً وأحزاباً، إنك - أيها الرسول - بريء منهم، إنما حكمهم إلى الله تعالى، ثم يخبرهم بأعمالهم، فيجازي من تاب منهم وأحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بإساءته.

وفي الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال)) [أخرجه البخاري].

وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال].

**إن الاختلاف بين الدعاة والعلماء في فهمهم للنصوص والأدلة - وخاصة فيما يسوغ فيه الاختلاف - أمر طبيعي - وكما قرر العلماء أنه لا إنكار على من اجتهد فيما يسوغ منه خلاف في الفروع، ولكن ما نعنيه هنا ويتألم له كل غيور، والأمر الذي يجب التحذير منه، ألا وهو الاختلاف والتنازع الواقع الذي يوجب القطيعة والخصومة بين دعاة الأمة وعلمائها..**

يأمر الله تعالى عباده بأن يلتزموا طاعته وطاعة رسوله في كل الأحوال، ولا يختلفوا فتتفرق كلمتهم وتختلف قلوبهم، فيضعُفوا وتذهب قوتهم، واصبروا عند لقاء العدو. إن الله مع الصابرين بالعون والنصر والتأييد، ولن يخذلهم.

إن المتأمل في الآيات القرآنية يجد واضحاً جلياً ظاهراً أنها تأمر وتدعو إلى الاعتصام والائتلاف، ونبذ التنازع والفرقة والاختلاف.

وبعد ذكر هذه الأدلة، أذكر بعض الملاحظات على موضوع الائتلاف والاختلاف الواقع بين الدعاة فيما يلي:

- إن الاختلاف بين الدعاة والعلماء في فهمهم للنصوص والأدلة - وخاصة فيما يسوغ فيه الاختلاف - أمر طبيعي - وكما قرر العلماء أنه لا إنكار على من اجتهد فيما يسوغ منه خلاف في الفروع، ولكن ما نعنيه هنا ويتألم له كل غيور، والأمر الذي يجب التحذير منه، ألا وهو الاختلاف والتنازع الواقع الذي يوجب القطيعة والخصومة بين دعاة الأمة وعلمائها.

- إن مما يحزن له المرء الغيور على دينه وأمته ما تشهده الساحة المعاصرة من القطيعة الواقعة بين بعض الدعاة والعلماء بسبب زلة أو هفوة، أو جملة قالها، أو كلمة بحسن نية تلفظها، أو اجتهاد مستساغ صدر عنه، فيُحمل الأمر على غير جادَّته وصوابه، ويُعظَّم على غير حقيقته.

- قد يكون الخلاف بين الدعاة والعلماء في مسألة اجتهادية الخلاف فيها مستساغ معتبر، فيتعامل معه وكأنه قطعي في ثبوته ودلالاته ولا يقبل النظر، وما هذا إلا لقلة فهم وعلم بأصول الاجتهاد والاختلاف فيه، وتحقيق أصوله ومناطه، لاسيما في الفقهيات وليس في العقديات.

**بعض الدعاة يمنعه الكبر والتعالي عن مصالحة إخوانه حتى وإن كان هو المخطئ ابتداءً، فلا يحمله إيمانه على التنازل والتواضع لإخوانه الدعاة والعلماء.**

- إنه من الطبيعي أن يؤثر هذا الاختلاف على أتباع الدعاة تأثيراً سلبياً، ويظهر أثره في طبيعة العلاقات بين الأتباع والشيوخ، فكل منهم ينتصر لشيخه ورأيه بالطريقة التي يراها هو حتى وإن لم تكن لائقة ولا مناسبة، بل ربما تمتد إلى الطعن بدينه وأخلاقه.

- بعض الدعاة يمنعه الكبر والتعالي عن مصالحة إخوانه حتى وإن كان هو المخطئ ابتداءً، فلا يحمله إيمانه على التنازل والتواضع لإخوانه الدعاة والعلماء.

لا سيما إن كان محاطاً بصحبة سوء تمنعه وتحجزه إذا رغب بذلك، وحدَّثته نفسه فيه، وأراد الإقبال نحوه، وهم سمَّاعون نقالون للأخبار والأقوال.

- إن هذا الاختلاف المرير والواقع بين دعاة الأمة، المستفيد منه هم أعداء الإسلام، فلو أنهم أنفقوا أموالاً طائلة بهدف

تحقيق النتائج الواقعة المريرة، فلا تكون النتيجة ولن يكون الأثر على دعاة الأمة وعلمائها بالقدر والحال التي هو عليها الآن، وللأسف هو مؤشر خطير على عدم صفاء قلوبهم، وعدم سلامة صدورهم، وتقديم حظوظ نفوسهم!

- لقد وصل أمر التنازع بين بعض الدعاة إلى حد التحذير الشديد من بعضهم على ملأ من الناس والعامة، وفي الدروس والمنابر، بلا إحساس ولا شعور، ولا إدراك لأثر ذلك على نشر الدعوة والخير والمعروف بين الناس، بل البعض تجاوز ذلك إلى التأليف والكتابة والتصنيف، وإصدار الفتاوى ونشرها في حق إخوانه الدعاة، بل ذهبوا إلى حد السخرية والاستهزاء والانتقاص من إخوانهم، بل ويصرِّح بأسمائهم على الملأ، فلا يرى إلا نفسه العليَّة، وكلهم دونه في العلم والفهم، فيصاب بداء العجب والغرور الذي يقصم الظهور.

فعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته)) [أخرجه أبو داود والترمذي].

- لقد سلك بعض الدعاة مسلك التبديع لمن خالف مذهبه ورأيه، والذي جعله ميزاناً يحاسب الناس عليه، ويصنفهم بناءً على معياره وضوابطه، بل إذا قرأت لأحدهم رداً أو كتاباً حسبته يتحدث عن أحد أعداء الملة والشريعة والدين، أو يصف زنديقاً من الزنادقة المبتدعين والملحدين، وإلى الله المشتكى.

- يجب على الدعاة أن يصلحوا أنفسهم من أمراض وآفات القلوب والصدور من حب الذات والظهور، والكبر والأنفة، والعجب والغرور، ويجب تخلية النفس من حظوظها، وتصفيتها وتنقيتها من آفاتها.

- إن الواجب على الدعاة اليوم محبة الخير للآخرين، وكره الشر عن الغير، بمثل ما تحب وتكره لنفسك، ففي الحديث عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتّى يُحِبَّ لأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)) [رواه البخاري].

وعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ في تَوادِّهِمْ، وتَراحُمِهِمْ، وتَعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكى منه عُضْوٌ تَداعى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمّى)) [متفق عليه].

- إن الداعي الصادق والمخلص هو من يلتمس الأعذار لإخوانه إن هم أخطأوا، لا سيما في أمر مستساغ مقبول، لا أن يتتبع عثراتهم، وزلاتهم.

فالتمس أيها الداعي لأخيك العذر، فإن لم تجد له عذراً فقل لعل لأخي عذراً لا أعلمه.-قال الإمام أحمد: «ولو أنا كلما أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأ مغفوراً له قمنا عليه وبدعناه وهجرناه لما سلم معنا لا ابن نصر ولا ابن مندة ولا من هو أكبر منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحق، وهو أرحم الراحمين؛ فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة» [سير أعلام النبلاء].

- تذكر أيها الداعية أنك إذا سلكت سبيل الفرقة والتنازع مع إخوانك الدعاة، واتخذت ذلك منهجاً في حياتك ودعوتك، فاعلم أن هذا المسلك لا يؤثر فيك وحدك بل يؤثر في دعوة غيرك من الدعاة، بل يؤثر في المجتمع كله، بل يكون سبباً وسبيلاً لفتنة الناس في دينهم أحياناً، وينزع ثقة العامة بعلمائها ودعاتها، فهل عرفت أين تكمن الخطورة في هذا المسلك والمنهج الخطير؟!

- أيها الدعاة، لو طبقنا النصوص الشرعية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وقواعد الاختلاف على ذواتنا وأنفسنا لما صار حالنا إلى هذا الحال، ولما وقعنا في شباك الهوى وحظوظ النفس، والتنافر والتدابر والتعادي الواقع بيننا.

- أيها الدعاة، إن الأمة بحاجة إلى دعاة مصلحين بين دعاة مختلفين، لا دعاةٍ منفرين بين دعاة متنازعين، دعاة يصلحوا بين إخوانهم عند القطيعة والخصومة، ويحذروا من التدابر والتنافر والتنازع والبغضاء والشحناء، لا أن يعملوا على تعزيزها وتنميتها، فينالوا إثمها بعجرها وبجرها.

قال الإمام البغوي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ﴾: «أي: اتقوا الله بطاعته وأصلحوا الحال بينكم بترك المنازعة والمخالفة».

- إن طريق الدعوة مليء بالعثرات والتحديات، ولكنها تهون بعون الله تعالى لك ثم بعون إخوانك الدعاة معك،

فالدعوة تحتاج إلى تعاون، فلا تستطيع سلوك الطريق وحدك، وكما قيل: طريق الاستقامة شاق، لكن يخففه الرفاق.

**أيها الدعاة، إن الأمة بحاجة إلى دعاة مصلحين بين دعاة مختلفين، لا دعاةٍ منفرين بين دعاة متنازعين، دعاة يصلحوا بين إخوانهم عند القطيعة والخصومة، ويحذروا من التدابر والتنافر والتنازع والبغضاء والشحناء، لا أن يعملوا على تعزيزها وتنميتها، فينالوا إثمها بعجرها وبجرها.**

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «عليك بإخوان الصدق فعش في أكنافهم؛ فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء».

- أيها الدعاة، لا بد من معرفة أقدار الناس، فلا يُقدَّم الأصاغر على الأكابر، بل يُنزَّل كلَّ منزلته، ونوقر كبيرنا، ونرحم ونشفق على صغيرنا، ومن الرحمة على صغير العلم والفهم عدم تصدره أمام الأكابر الذين أمضوا ضعف أو ضعفين أو ثلاثة أضعاف عمر الصغير في العلم والمعرفة والتأليف والتصنيف وبين بطون الكتب.

- إن الدعاة والعلماء هم منارة للدنيا يهتدي بها الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن طرق الضلال إلى الهدى، ومن سبل الشر إلى الخير، فعلى الدعاة والعلماء الانشغال بدعوة الناس لا الانشغال بأنفسهم عن دعوة أمتهم.

وأخيراً، إن من مخاطر وآثار الفرقة بين دعاة الأمة وعلمائها:

- الفشل والضعف والهوان، وذهاب الريح والقوة.
- وفتنة الناس في دينها وعقيدتها.
- وتسلط الأعداء على الأمة بسبب تمزق القدوات فيها.
- وضعف الأمة أمام أعدائها، لتشتت وحدة الصف والكلمة بين دعاتها وعلمائها.
- وفساد الأخلاق والسلوك والتربية، لضعف القدوات.
- والتخلي عن القيم والمبادئ.
- الطعن في ثوابت الدين ومحكمات الشريعة.
- التشكيك في أحكام الشريعة وصلاحيتها لكل زمان ومكان.
- وظهور الظلم، وتفشي الكذب بين الناس.

هذا ما تيسر إيراده، والله أسأل أن ينفع به، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

# الإبراهيمية ضلالة القرن

د. محمد يسري إبراهيم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً، وصلى الله وبارك على نبينا محمد المبعوثِ بالحقِّ للخلق كافة بشيراً ونذيراً، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فقد اقتضت مشيئة الله السابقة: أن يختلف الخلق، ويفترق سعيهم في هذه الحياة، فمن ساعٍ إلى مرضاة الله وجنَّته، ومن عاملٍ بمعصية الله ومتعرِّضٍ لعقوبته! قال تعالى: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾ [الليل].

وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞ﴾ [التغابن: ٢].

وكان من شأن الكفار: معاداة المؤمنين، وعلى رأسهم: صفوة الخلق من الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ۝١٠١﴾ [النساء].

وقد اتخذت تلك العداوة صوراً وأشكالاً شتَّى؛ فتارة تكون بأفواههم، وعلى إعلامهم!

قال تعالى: ﴿قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

وتارة تكون قتالاً بأيديهم وبأسلحتهم!

قال سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧].

غير أن الأخطر من تلك الصور والمحاولات هي: الفتنة في الدين!

قال سبحانه: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١].

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

إن الفتنة في الدين قد اتخذت – أيضاً – صوراً متعددة، لكن أخطرها وأشدها فتكاً: تبديل الدين، بعد العبث بثوابت العقيدة والشريعة!

وتمريراً لذلك الكيد فقد عُرفت في العصر الحديث - قبل عدة عقود - دعواتٌ للإخاء الدينيِّ والتقريب والتقارب بين الأديان، وأُسِّستْ جمعيات للصداقة والزمالة والتضامن بين الأديان، كشف أرباب تلك الدعوات الخدَّاعات عن دخيلة صدورهم، ومكنون إفكهم؛ فأخرجوا شعاراتٍ جديدة، مثل: وحدة الأديان، وتوحيد الأديان الثلاثة، والدين العالمي الموحَّد، وأسموا ذلك الإفك العالمي بـ(الديانة الإبراهيمية!)، وما ينشأ عنها بـ(الوحدة الإبراهيمية)!

وزادوا في غيِّهم وباطلِهم بمحاولة إعداد كتبٍ مقدسةٍ جديدةٍ، تحلُّ محلَّ الكتب السماوية، ومراكزَ مقدسةٍ تكون عوضاً عن مقدسات الأديان، ثم امتدَّ العبث إلى طقوس عبادية مشتركة، واستعانوا على مكرهم العالمي بمن فتنوهم، أو استغفلوهم من المنتسبين إلى الإسلام من علماء ودعاة! لتكون النتيجة: تصدي هؤلاء الشيوخ لتمرير أول الخديعة إلى بلاد المسلمين، ثم يكمل الساسة بقية الإفك المبين؛ مستعينين بمرتزقة من الإعلاميين، وجهلة من عوام المسلمين!

**عُرفت في العصر الحديث - قبل عدة عقود - دعواتٌ للإخاء الدينيِّ والتقريب والتقارب بين الأديان، وأُسِّستْ جمعيات للصداقة والزمالة والتضامن بين الأديان، كشف أرباب تلك الدعوات الخدَّاعات عن دخيلة صدورهم، ومكنون إفكهم..**

ولأجل ترويج هذا الكفر الصراح عُقدت مؤتمرات عدة لضلالة القرن: الإبراهيمية المزعومة، ليس أولها ولا آخرها مؤتمر شرم الشيخ بمصرَ عام ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، حيث أُوعز إلى كبار المتحدثين: أن تكون كلمتهم حول الرابطة الجامعة الجديدة بين المسلمين والكفار، والأبرار والفجار، وهي: الإبراهيمية!

إنها الضلالة التي يُضِلُّون بها المسلمين، أما اليهود والنصارى والشيوعيون واللادينيون فحسبهم من هذه الضلالة: رضا المسلمين بالكفر والشرك بأنواعه، وتنازلهم عن أقصى المسلمين، ومقدَّسات فلسطين، وتطبيعٍ دينيٍّ بجوارِ آخَرَ سياسيٍّ، يُفضي في النهاية إلى بسط سلطان الصهاينة، وأوليائهم من الصليبيين الإنجيليين على بلاد المسلمين، وتهيئة الأجواء لمجزرة عالمية كونية ختامية اسمها: (هرمجدُّون)؛ تمهيداً لنزول السيد المسيح الذي سيكون على دين التوحيد، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويحكم بشريعة محمد ﷺ! فيما ينتظر اليهود مسيح الضلالة الذي يقتله المسيح عيسى ابن مريم!

وأما النصارى فينتظرون المسيح الذي هو إله، أو ابن إله! وهذا لا وجود له أمسِ، ولا اليومَ، ولا غداً!

ومن أجل هذه العقائد الباطلة يعطى النصارى القدسَ لليهود؛ لأنهم يعتقدون أن قاعدة ملكه حين ينزل ستكون هي: القدس، أو بيت المقدس التي يسمونها: (أورشليم)!

والحق الذي لا مرية فيه: أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ سينزل في آخر الزمان، كما أخبر النبي العدنان ﷺ بقوله: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ...))[1]، فيصير الدين واحداً، ولا يبقى أحد من أهل الذمة يؤدي الجزية.

وقد أجمعتِ الأمة على ذلك، فلم يخالف في ذلك أحد من علماء الشريعة المعتَبرين، وأما خلاف الملاحدة والزنادقة والفلاسفة فمضروب به عُرض الحائط!

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٢)، ومسلم (١٥٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذه الرسالة تكشف شيئاً من عوار هذه النِّحلة المفتراة، والملة المدعاة، التي تربط ضلالتها بسلسلة من الكيد الماكر، والإفك الظاهر!

غير أنها اتخذت من أسباب التلبيس ألواناً جديدة يخادعون بها الشعوب عبر رشاوى من التنمية تارةً، واستعمالٍ لبابا النصارى وبعض شيوخ المسلمين تارة أخرى!

وبنزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الرَّدُّ على زعم يهود بأنهم قتلوه، ولإظهار أنه تبعٌ لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دينه وهو رد على زعم النصارى، وليقضي بنفسه على فتنة دجال اليهود فيقتله، ثم ليموت كغيره من بني البشر، فيتحقق كل أحد من بشريته، ويدفن كما دُفن غيرُه من أنبياء الله تعالى.

وهذه الرسالة تكشف شيئاً من عوار هذه النِّحلة المفتراة، والملة المدعاة، التي تربط ضلالتها بسلسلة من الكيد الماكر، والإفك الظاهر!

غير أنها اتخذت من أسباب التلبيس ألواناً جديدة يخادعون بها الشعوب عبر رشاوى من التنمية تارةً، واستعمالٍ لبابا النصارى وبعض شيوخ المسلمين تارة أخرى!

ولتكون إبراهيميتهم دين أبرهة الجديد الذي يَصرِفون الخلق إليه عن الحنيفية السمحة دينِ إبراهيمَ وكلِّ نبيٍّ ختاماً بمحمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والواجب على كل مسلم اليوم: أن يستبين سبيل المجرمين، وأن يعمل كل مسلم - حسب قدرته وجهده - على أن ينتشر الوعي المجتمعي بضلالة القرن، وأن يفهم أهل الإسلام مآلاتِ هذه الدعوة الكفرية الخبيثة على المسلمين دينيًّا، وسياسيًّا، واقتصاديًّا، وتربويًّا، وفكريًّا، وأن تُدرِك ناشئةُ المسلمين حقائقَ الصراع وثوابتَ الدين معاً.

وأن يرابط أبناء الأمة جميعًا على حماية مقدسات المسلمين، لا سيما الأقصى والقدس الشريف، وأن تظل روح المقاومة والمجاهدة حيَّةً في النفوس، وأن ينبذ المسلمون حالةَ الفُرقة والشقاق، ويتحدوا صفًّا واحدًا مجتمعينَ في وجه أعداء الملة والدين.

وعلى العلماء وطلبة العلم وأهل الحل والعقد في الأمة: أن يُنكروا على من استزلَّهم الشيطان ببعض ذنوبهم، فلحقوا بركب التطبيع من الحكام، وساروا في قافلة الإبراهيميين من علماء السوء، ودعاة الفتنة في الدين.

إن عودة أفكار الدين العالميِّ الموحَّد تدقُّ ناقوسَ خطرٍ ينادي بأهمية إصلاح التعليم الديني الذي طالته يد التحريف والعبث، وإصلاح وتقويم مسيرة الإعلام الذي حرفته الشهوات والشبهات عن أداء واجبه الرسالي في بلاغ محكمات الإسلام وثوابته، والتصدي لحملات الإلحاد والتغريب والعلمنة، ومواجهته تغوُّل مؤسسات العلمانية واللادينية في عدد من بلاد المسلمين، وإضعافها لمؤسسات المجتمع المسلم المرابط على ثغور الأمة.

وأخيراً: فإن (ضلالة القرن) تسعى جاهدةً مع (صفقة القرن) إلى إضعاف الدولة القومية الحديثة، وإثبات فشلها، والسعي في تقسيمها؛ تمهيدا لسقوطها في المنطقة العربية؛ لِتَخْلُفَها إسرائيلُ الكبرى!

وعليه؛ فإن من سعى في تلك الصفقة الخاسرة والملة الكافرة فإنما هو كمن لحمه بطلفه! ويُعين عدوَّه على نفسه! ويخرب بيته بيده وبيد أعدائه!

**على العلماء وطلبة العلم وأهل الحل والعقد في الأمة: أن يُنكروا على من استزلَّهم الشيطان ببعض ذنوبهم، فلحقوا بركب التطبيع من الحكام، وساروا في قافلة الإبراهيميين من علماء السوء، ودعاة الفتنة في الدين.**

فاللهم أَجِرِ الأمةَ من إمارة السفهاء، ومن فسقة العلماء، ومن جهلة العامة والدهماء، وأبرم للأمة أمرًا رشيدًا، وهيِّئ لها عملاً سديدًا، وعلماءَ ربانيين، وحكاماً صالحين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

**وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين.**

# العالم السلفي الكبير محمد بن العربي العلوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

إعداد: د. محمد العبدة

## التعريف بالشيخ:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد، فإن أول ما سمعت بهذا العالم الكبير كان عن طريق قراءتي لما كتبه العالم والزعيم السياسي المغربي علال الفاسي رحمه الله فقد ذكره ومدحه وقال عنه: «شيخنا»، فبدأت بالبحث عن ترجمة لهذا الشيخ حتى وجدت ما أريد في إحدى زياراتي للمغرب العربي.

هو: محمد بن العربي العلوي نسبًا، أي ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وهو يلتقي بهذاالنسب مع الأسرة الحاكمة في المغرب منذ فترة طويلة، وهذا يختلف عما يسمى في سوريا بالطائفة العلوية النصيرية الباطنية التي ليست هي علوية لا نسبًا ولا دينًا.

ولد الشيخ عام ١٣٠١ هجرية، الموافق ١٨٨٧م، في قرية مدغرة من أعمال سجلماسة في جنوب شرق المغرب، وعلى طريقة المغاربة حفظ القرآن الكريم مبكرًا ثم الكتابة وشيء من النحو والفقه، وتعلم من صغره على ركوب الخيل والفروسية، وفي سن الـ١٧ قدم به والده إلى فاس ليدخل جامعة القرويين المشهورة، وهي جامعة عريقة مثل الأزهر في مصر، ولكنها تنتهج الطريقة التقليدية في العلوم كالمتون والمختصرات والحواشي والتقريرات وهكذا، ولم يكن

فيها تجديد كبير وإن كانت جامعة قوية، فلما اطمأن الوالد بأن ولده بدأ ينخرط في العلم في الجامعة تركه ورجع إلى قريته، ودرس الشيخ على علماء المذهب المالكي الصحيحين والفقه وأصول الفقه والنحو والبلاغة وغيرها.

ولما تخرج من الجامعة في ١٣٣٠هجرية بدأ التدريس في الجامعة تدريسًا طوعيًا بغير أجرة وكذلك في المجالس والمساجد.

## تحول الشيخ للمنهج السلفي:

ثم تحول الشيخ إلى السلفية وكان قد بدأ حياته العلمية على الطريقة التجانية - وهي من الطوائف الصوفية الغالية - إلى أن انتهي من الدراسة بالقرويين، ثم في أحدى زياراته لأقربائه وجد كتابًا عنده فأراد أن يقرأه فقال له صاحب البيت: «إنك لا تريده»، فقال: «بل أحب العلم»، فبدأ يتصفح الكتاب وإذا هو كتاب (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، ومن هذا الكتاب بدأ يبحث عن كتب ابن تيمية وابن القيم، فكان هذا الكتاب سببًا رئيسيًا في تحوله.

ومن الأسباب الرئيسية لتحوله للسلفية مجلة المنار للشيخ محمد رشيد رضا[1]، وأيضاً استفاد من كتابات الأديب شكيب أرسلان.

ومما أثر فيه أيضاً أن بعض ملوك المغرب كان يميل لمذهب السلف، مثل السلطان عبد الحفيظ الذي كان في زمان الشيخ، وكذلك قبله السلطان سليمان كان سلفيًا، وهذا مما لا نعرفه نحن أهل المشرق عن ملوك المغرب، وممن

(١) ومن المؤسف أن يقول الشيخ مقبل بن هادي عنه أنه أسوأ من شيخه محمد عبده!! هذا تطاول منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

يعرفه أهل المشرق بأنه كان على مذهب السلف الشيخ تقي الدين الهلالي، وهو تلميذ الشيخ ابن العربي العلوي، وهو أيضًا كان تجانيًا ورجع على يد الشيخ، وقصتهم في ذلك طريفة فقد جاء الهلالي إلى فاس وقال له الناس هناك شيخ كبير هنا يجب أن تزوره، فزاره وسأله بعض الأسئلة ولما أراد أن ينصرف قال له: أين تذهب أنت غريب فتبيت عندي، قال: أنا معي زوجتي وزوجتي ألمانية، قال له: أنت وزوجتك تبيتون عندي في البيت، وبدأ الشيخ يناقشه في التجانية، فقال له: أنتم تقولون أن شيخ الطريقة قابل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقظة لا مناماً، فبدأ الشيخ يرد عليه واحدة واحدة حتى أفحمه ورده إلى طريقة السلف، وهو شخصية كبيرة ومشهور لأنه له جولات في المشرق، وذهب إلى الهند ودرس في ندوة علماء الهند، وهو من مدرسي أبي الحسن الندوي، درسه اللغة العربية، وجاء إلى الجامعة الإسلامية في المدينة، وشارك في ترجمة معاني القرآن الكريم، وله كتب في نصرة عقيدة السلف.

## إحياء الشيخ لمنهج السلف في المغرب:

وبعد أن تشبع وفهم العقيدة السلفية بعد هضمه لكتب ابن القيم وابن تيمية رَحِمَهُمَا اللَّهُ واقتنع تمامًا وأصبح شديدًا جدًا على الطرق الصوفية، خاصة أنه كان قوي الشخصية إضافة إلى أنه كان نوعًا

ما محميًا من قبل الملك؛ لأن له صلة قرابة بالأسرة المالكة، فكان كما وصفوه طودًا راسخًا، وكانت لديه قدرة على المناظرة وثبات على المبدأ لا يحيد عنه أبدًا. ويقول عنه المؤرخ بن سودة وهو مؤرخ مغربي: «وإن شئت قلت بدون مداهنة ولا محاباة أنه هو الرجل الأول الذي غرس البذرة الأولى للسلفية في المغرب العربي».

ومن قوة شخصيته في مدينة فاس ذهب إلى شجرة يتمسح الناس بها وفي ذلك الزمن كان هناك جهل كبير فكانوا يعتقدون أن الشجرة مقدسة، فذهب إليها وقطعها، كما فعل ابن تيمية عندما ذهب الى صخرة كان الناس يأتون إليها وحطمها.

**ومن قوة شخصيته في مدينة فاس ذهب إلى شجرة يتمسح الناس بها وفي ذلك الزمن كان هناك جهل كبير فكانوا يعتقدون أن الشجرة مقدسة، فذهب إليها وقطعها، كما فعل ابن تيمية عندما ذهب الى صخرة كان الناس يأتون إليها وحطمها.**

ومن إحيائه للطريقة السلفية إحياء مادة التفسير بالتدريس، لأنه بعد أن تخرج عمل مدرسًا بالقرويين والمساجد وحتى في المدارس النظامية، والمعروف أن السلفية تهتم بإحياء العلوم القديمة والتفسير، وبذلك اشتهر بن باديس ورشيد رضا أيضًا وجد الألوسي محمود شهاب الدين أيضًا اشتهر بالتفسير، وكما تميزت السلفية عند الشيخ وغيره بالانفتاح على الجديد إذا كان لا يتعارض مع أسس الإسلام وقواعده، فليست عقلية جامدة تتخوف من أي شيء غربي قادم، بل عندهم من الثقة والعلم ما يميزون به الحق من الباطل، فهذه الثلة من علماء السلفية كانت هذه ميزتها.

وكانت هناك نقطة يتميز بها سلفية المغرب وهي أنهم عندما يتكلمون في الوطنية يتكلمون بوطنية خاصة ممزوجة بالإسلام، وليست الوطنية بمعناها الضيق مثل الأنانية والحدود الإقليمية، كما يقول الناس نحن من بلد كذا أو كذا، وإنما كانوا يعنون بها خدمة الوطن والعمل لصالحه، أما في المشرق ليست هكذا بل مزجوها بالقومية العنصرية ومزجوها بمحاربة الدين، فهذه ملاحظة عند ابن باديس وعند الشيخ، فهم يعتبرون كل الأحزاب الوطنية الإسلامية مثل حزب الاستقلال تتلمذت على يد الشيخ الذي سعى إلى تحرير البلد من الاستعمار الفرنسي ونشر العلم الشرعي، والذين سعوا في الحركة الوطنية لتحرير البلاد من المستعمر كثير منهم كانوا من تلاميذ الشيخ أو ممن كان يحضر له، وهذه وطنية مميزة وإسلامية في الحقيقة، لذلك كانوا يعتبرون العربي يعني المسلم، لذلك لما يأتيهم البعثيون العراقيون والسوريون ويدعونهم للصلاة فيقولون نحن غير مسلمين كانوا يستنكرون ذلك.

### جهاد الشيخ محمد بن العلوي ضد الاحتلال الفرنسي:

ناضل الشيخ ضد الاستعمار منذ ١٩١٢م، وكان سنه حينها حوالي ثلاثين سنة، وأغلب الطرق الصوفية كانت مداهنة للاستعمار بحجة عدم القوة والقدرة، وأن ذلك قدر الله تعالى فلا ينبغي معارضته. فكانت فرصة لفرنسا

أن وجدت من يدعمها من الداخل.

**ومن إحيائه للطريقة السلفية إحياء مادة التفسير بالتدريس، لأنه بعد أن تخرج عمل مدرسًا بالقرويين والمساجد وحتى في المدارس النظامية، والمعروف أن السلفية تهتم بإحياء العلوم القديمة والتفسير.**

في هذه الفترة كان الشيخ محمد بن العلوي قد عين قاضيًا ومدرسًا، فكان في محاضراته ودروسه يحرض الناس على دعم ثورة محمد بن عبد الكريم الخطابي، الذي هو في الريف الشمالي للمغرب، وكان يحارب أسبانيا التي كانت قد احتلت مدن الشمال على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وقبل التخرج من الجامعة حاول أن يلتحق بالمجاهدين لكن ما تمكن منها، وخاصة أن الشيخ متدرب على ركوب الخيل والفروسية.

وبقي قاضياً ومدرساً بالقرويين وحتى بالمدارس الثانوية العادية التي أسستها الدولة.

وفي عام ١٩٤٤م وفي أثناء الحرب العالمية الثانية طلب الملك من مجلس الوزراء وكان قد عين الشيخ رئيسًا للمجلس الاستشاري الشرعي وعين بعدها وزيراً للعدل من قبل السلطان محمد الخامس بن يوسف، وطلب منه الخامس أن يشكل وفداً وزارياً لمقابلة المندوب الفرنسي لطلب الاستقلال، ولكن الوزراء كانوا ضعفاء أمام المندوب الفرنسي، فاستقال الشيخ من منصبه في وزارة

العدل ومن مناصبه كلها.

هنا غضبت عليه فرنسا وقررت نفيه

فخيرته في أي قرية خارج العاصمة الرباط ومدينة فاس، فاختار منطقة اسمها القصابي في البحر الأبيض المتوسط، فبدأ هناك الدروس والتف الناس حوله، فلم يعجب ذلك فرنسا فنقلوه إلى مسقط رأسه مدغرة وهو كبير في السن وهي منطقة بعيدة، فلبث فيها سنتين ثم أعيد إلى الرباط ولم يعجبه البقاء في الرباط، ثم عاد إلى فاس ورجع للتدريس واجتمع الناس حوله، فاتهمه الفرنسيون بخلط الدين بالسياسة، فوضع تحت الإقامة الجبرية ومنع من الدروس والتكلم إلى الناس، وفي هذه الفترة غضبت فرنسا على الملك محمد الخامس ونفته إلى جزيرة كورتيكا وعينت بدلاً منه واحدًا من الأسرة اسمه ابن عرفة، وعرضت على الشيخ الموافقة على الملك الجديد فرفض رفضًا شديدًا، وبسبب هذا نفي إلى منطقة بعيدة جدًا في الجنوب اسمها (تزميت) تبعد عن فاس ألف كيلومتر، فودع أهله وزوجته وأولاده، وكان له في ذلك كلام جميل قال: «لا تخافوا علي، أنا لست من شمع فأذوب، وإذا كان في العمر بقية فإن الشمل سيجتمع مرة أخرى» طبعا كان السجن مؤلمًا جدًا؛ فقد تجاوز السبعين وكان الجو باردًا والطعام قليلاً؛ فخرج نحيفًا هزيلًا وكان ذلك في عام ١٩٥٤م.

## التجربة السياسية للشيخ:

وفي هذه الفترة في عام ١٩٥٥م عاد الملك محمد الخامس من منفاه وعينه مستشارًا خاصًا بالقصر الملكي، وافق الشيخ على هذا المنصب لأنه كان ينصح الملك بجرأة والملك يستشيره في كثير من أموره، وفي هذه الفترة عين الملك لجنة لكتابة مدونة للفقه الإسلامي، وكان فيها الشيخ ابن العلوي وتلميذه مختار السوسي، واللجنة لم تسر كما يريد الشيخ فاستقال منها، وفي هذه الفترة توفي محمد الخامس وبويع ابنه الحسن الثاني وحاول أن يضع دستوراً جديداً للبلاد؛ فكلف تلاميذ الشيخ ولكنهم لم يستسيغوا مواد الدستور لأنهم كانوا مصرين أن يكون دين الدولة الإسلام واللغة العربية لغة الدولة والقرآن والسنة المصدر الوحيد للتشريع، فانسحب الشيخ وتلامذته وقال الشيخ أن هذا الدستور غير إسلامي وغير

ديموقراطي.

وفي عام ١٩٦٢م رفض الشيخ أن يكون للحكام حق التشريع، ورجع إلى مدينة فاس، ووجد حزب اسمه الاتحاد الوطني يقول بأشياء لا بأس بها فكان يساعدهم ولكنه تفرغ للدروس العلمية في مدينة فاس.

**أثر كبير في المغرب في انتشار العقيدة السلفية، يقول عنه الهلالي: «في زماننا هذا ولله الحمد يوجد بصيص من نور القرآن والسنة أوقده شيخنا محمد بن عربي العلوي»، ويقول علال الفاسي: «الدعوة التي كيفها شيخنا العلامة المصلح المجدد محمد ابن عربي، هي دعوة لتجديد الإسلام وبعثه وتطهيره من خرافات الأدعياء».**

### تلاميذ الشيخ:

ومن تلامذته الكبار علال الفاسي، له جهود كبيرة كما أشرنا لذلك في مقدمة هذا المقال، وكذلك الحسن الوداني أيضًا من كبار تلاميذه زعيم حزب الشورى، والمختار السوسي أيضاً من أخص تلاميذه، وكان وزيرًا للأوقاف، وتقي الدين الهلالي له دور كبير في التعليم في العراق والهند والمدينة المنورة، ومحمد إبراهيم الكتاني له مؤلفات منها طبقات المجتهدين، وغيرهم فهؤلاء كبار تلامذة الشيخ.فله أثر كبير في المغرب في انتشار العقيدة السلفية، يقول عنه الهلالي: «في زماننا هذا ولله الحمد يوجد بصيص من نور القرآن والسنة أوقده شيخنا محمد بن عربي العلوي»، ويقول علال الفاسي: «الدعوة التي كيفها شيخنا العلامة المصلح المجدد محمد ابن عربي، هي دعوة لتجديد الإسلام وبعثه وتطهيره من خرافات الأدعياء»، ويقول عنه من كبار علماء الجزائر البشير الإبراهيمي: «الأستاذ الأكبر الشيخ محمد بن العربي العلوي إمام سلفي وعالم مستقل واجتماعي جامع»، ويقول عنه أحد أعضاء جمعية العلماء الجزائريين حمزة بوكورجا: "إمام حجة ينزع إلى الاجتهاد، مع سعة العارضة وقوة الحافظة».

توفي الله الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عصر يوم الخميس ٢٣ محرم ١٣٨٤هجرية، الموافق ٤ يونيو ١٩٦٤م، ودفن في قريته مدغرة حسب وصيته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فهذا كما رأيتم عالم من كبار العلماء السلفيين في المغرب العربي لعل كثيرًا من الدعاة في المشرق لم يسمعوا به ولم يعرفوا عنه تفاصيل حياته رحمه الله ورضي عنه.

# دولة ليبيا والحلم الغائب

أ. هشام بونوارة

تشكل ثورة السابع عشر من فبراير والأزمات التي عصفت بعدها منعطفاً هاماً في تاريخ العصر الحديث للدولة الليبية، فمنذ أن استقلت ليبيا عام ١٣٧٠هـ- ١٩٥١م بقرار من الأمم المتحدة وهي تحاول جاهدة لملمة جراحها وجمع كلمتها وتوحيد أقاليمها بقيادة الملك محمد إدريس بن السنوسي رحمه الله.

لم يدم حكم الملك رَحِمَهُ ٱللَّهُ طويلاً بالرغم من عظم الإنجازات التي تخللت تلك الفترة القصيرة ومحبة الناس له، فما فتيء الليبيون عن ذكره بالخير والدعاء له، وذكر مناقبه في مجالسهم، ولكن الله أراد أمراً آخر بقدوم العقيد معمر القذافي.

لقد تطلع الشعب الليبي مع قيام ثورته إلى الخلاص من دولة الظلم والاستبداد التي بناها الطاغية على صرخات المظلومين، ودموع العجائز، وأنين الأرامل، فامتدت بظلمها إلى أربعين سنة ونيف، فتاه القذافي وحزبه وبدد معه مقدرات البلاد وثرواتها، وهدم فيها بنيان الدولة الوليدة التي كان ينشدها الليبيون بعد نيل استقلالهم، وغادرها تاركاً وراءه تركة ثقيلة من المصاعب والمصائب.

هذه التركة تمثلت في:

**(١) الصراعات المناطقية.**

**(٢) القصور بأداء المؤسسات الأمنية المهنية.**

**(٣) ضعف الاقتصاد وهشاشة المؤسسات المالية.**

**(٤) تخلف القطاعات الخدمية بالدولة.**

**(٥) قوى سياسية تم محاربتها وإقصاؤها.**

**(٦) فقر يجتاح البلاد على الرغم من أن البلاد غنية بثرواتها النفطية وغيرها.**

كل ما سبق ذكره أدى إلى إضعاف بنيان الدولة وتقويض الأمن فيها؛ فجعلها لقمة سائغة بفم عدوها، ومهد الطريق أمام الأطراف الإقليمية والدولية، لزعزعة الاستقرار بالبلاد، وبث الفتن، وإذكاء جذوة العنف والصراعات في كل وقت وحين.

لم تدم فرحة الشعب الليبي بإسقاط نظام القذافي ونشوة انتصار ثورته طويلاً، حتى جاء اللواء المتقاعد خليفة حفتر بانقلابه على السلطة الشرعية المنتخبة بالبلاد، وتنصيب نفسه حاكماً عسكريا على البلاد.

المشروع وقفت خلفه أطراف خارجية راهنت على نجاحه، وزعمت استنساخ النموذج المصري بتدجين الشعب وإرجاعه إلى حالة ما قبل الثورة.

فدخلت البلاد عندها في نفق مظلم وإنهاك فوق الإنهاك، وتقسيم المقسم وتجزئة المجزأ، واشتعلت الحروب في كل مكان لأجل إنفاذ رغبة عجوز في الوصول إلى كرسي الحكم، ولو على حساب فناء الشعب بأسره، فلا حرمة وقتها للدماء ولا للأعراض ولا للممتلكات، كيف لا! وهو قد تخرج من مدرسة أستاذه فيها القذافي.

**من الثورة وحتى الآن لم يهنأ الليبيون وينعموا بالاستقرار والأمن بل على العكس تماماً، فقد كان مسلسل التدخلات من الأطراف الإقليمية والدولية كبيراً ومستمراً، فمن الصخيرات بالمملكة المغربية إلى جنيف بسويسرا مشوار طويل من صياغة مشروع الارتهان للمجتمع الدولي والإملاءات وفرض الوصاية الدولية، ومصادرة القرار السياسي، وتجميد الأرصدة بالخارج، وتفكيك المؤسسات الشرعية بالدولة، ومحاصرة الإرادة الوطنية...**

من الثورة وحتى الآن لم يهنأ الليبيون وينعموا بالاستقرار والأمن بل على العكس تماماً، فقد كان مسلسل

**ومن رحم هذه المعاناة يولد الحلم الغائب! وتولد معه العزيمة الصادقة بسواعد أبناء الوطن الذين لا يخلو منهم زمان ولا مكان، يجتمعون فيه على مشروع يمثلهم، يجمع كلمتهم وترص به صفوفهم...**

التدخلات من الأطراف الإقليمية والدولية كبيراً ومستمراً، فمن الصخيرات بالمملكة المغربية إلى جنيف بسويسرا مشوار طويل من صياغة مشروع الارتهان للمجتمع الدولي والإملاءات وفرض الوصاية الدولية، ومصادرة القرار السياسي، وتجميد الأرصدة بالخارج، وتفكيك المؤسسات الشرعية بالدولة، ومحاصرة الإرادة الوطنية دون رغبة من هذه الأطراف المتحكمة بالمشهد إرجاع الحق لأهله - الشعب الليبي - بانتخاب حكومة شرعية تعبر عن إرادة الليبيين وتطلعاتهم بدولتهم التي يريدون.

ومن رحم هذه المعاناة يولد الحلم الغائب! وتولد معه العزيمة الصادقة بسواعد أبناء الوطن الذين لا يخلو منهم زمان ولا مكان، يجتمعون فيه على مشروع يمثلهم، يجمع كلمتهم وترص به صفوفهم، يوفرون له كل الإمكانات التي من شأنها نجاحه وثباته أمام الأمواج المتلاطمة، يتسم بوضوح الرؤية، ويتهادى مع السياقات والإكراهات المتحققة.

# مأرب
## معركة النفس الأخير

د. عبد الله بن فيصل الأهدل

تعمل إيران لتقويض السلم الأهلي بدعم غربي لعدد من الدول العربية، كما نشاهده في العراق وسوريا ولبنان واليمن، فقد تقاطع مشروعها التوسعي الصفوي مع مصلحة الغرب بقيادة أمريكا في مواجهة السنة، واليوم يستنفر الحوثيون - ذراع إيران في اليمن والمدعوم غربيًّا - كل ما يمكنهم من قوة لاقتحام مدينة مأرب.

فإذا سقطت مأرب - لا قدَّر الله - فما بعدها أهون عليهم، ويكاد اليمن الشمالي كله يكون في قبضتهم، ولن يرحموا حينها أحدًا - حتى من تواطأ ضد أهله لتأييدهم-.

ويعلم الجميع أنَّ الحوثيين جماعة تعمل بأوامر إيران الرافضية الحاقدة على أهل السنة.

ومع ذلك فليس لديهم - ولا لدى إيران بالأصالة - أي حرج من التحالف مع أمريكا واليهود لخدمة أهدافهم للتغلب على أهل السنة وامتلاك زمام أمورهم أو إبادتهم إن استطاعوا.

ومن المفارقات -التي لا تخطئها العين والتي تشير إلى اتفاق بين أمريكا من جهة وإيران والحوثيين من جهة أخرى - أن الهجوم الكبير بدأ على مأرب - والذي تزامن معه قصف مطارات ومدن أبها وخميس مشيط وجدة ونجران وجيزان وغيرها - كان بعد تولي بايدن الرئاسة الأمريكية، ومتزامنًا مع إزالة وصف

الإرهاب عن الحوثيين، وإعلان رغبة الإدارة الأمريكية الجديدة في العودة للاتفاق النووي مع إيران ورفع العقوبات عنها.

إنَّ تاريخ الغرب بقيادة أمريكا وتاريخ الروافض يبين لنا شدة الحقد على المسلمين من قِبَل هذا الحلف الدنس.

وكذا تاريخ حكام العرب العلمانيين تاريخ أسود من التخاذل والعمالة وإيذاء المسلمين - وخاصة العلماء والدعاة -.

وها هي القيادات الحوثية في العاصمة اليمنية صنعاء تسرب ما أسموه: «تفاصيل معركة النفس الأخير»؛ التي تضمنت خطة إيرانية شيطانية للسيطرة على الجزيرة العربية طرحها السفير الإيراني لدى الحوثيين (حسن إيرلو) في اجتماع سري مع القيادات الحوثية في صنعاء، ومما جاء فيها:

(١) اجتياح محافظة مأرب والسيطرة عليها في أسرع وقت ممكن قبل أي مشاورات سياسية من خلال معركة النفس الأخير.

(٢) اجتياح محافظة شبوة وحضرموت للسيطرة على حقول النفط والغاز بحجة متابعة فلول الشرعية المنهزمة.

(٣) إعلان وقف الحرب والدخول في مشاورات سياسية حسب الاتفاق السري مع الإدارة الأمريكية الجديدة.

(٤) تشكيل حكومة محاصصة طائفية مناطقية مع احتفاظ الحوثيين بأسلحتهم وسيطرة مليشياتهم على جميع مفاصل الدولة كما حصل في العراق ولبنان.

(٥) خروج السعودية والإمارات ورفع الحصار عن اليمن وفتح الموانئ والمطارات وتزويد الحوثيين بأحدث الصواريخ والطائرات والأسلحة النوعية.

(٦) الهجوم على السعودية لاستعادة الأراضي اليمنية من كل الجهات وقصف الموانئ والمطارات والقواعد والشركات.

(٧) دعم حركات التمرد الشيعية في جميع أنحاء السعودية وخاصة المنطقة الشرقية الشمالية المحادة للخليج والعراق.

(٨) إسقاط حكم آل سعود وتقسيم المملكة وسيطرة المليشيات الشيعية على أغلب المناطق النفطية في الجزيرة العربية.

(٩) دعم حركات التمرد الشيعية في بقية دول الخليج والقيام بثورات شعبية للإطاحة بالأنظمة الملكية في الخليج.

(١٠) السيطرة على جميع المساجد والمراكز والمعاهد والمدارس والجامعات وتغيير المناهج السنية ونشر العقيدة الإمامية الإثني عشرية في جزيرة العرب.

وهذا الكلام قد يكون فيه نوع من الأماني والخيال وعدم الواقعية، ومع ذلك يجب على العقلاء حمله على محمل الجد؛ فماذا يجب على اليمنيين - على وجه الخصوص - أن يفعلوه في حربهم أمام هذا الهجوم والتآمر العظيم؟ نلخص شيئًا من ذلك فيما يلي:

(١) أخلصوا نية عملكم هذا لله عزَّ وجلَّ؛ فلا يكن همكم تحصيل المال ومتاع الدنيا الزائل، بل نصرة الحق وأهله وحفظ أمن البلاد والعباد.. وفي الحديث المتفق عليه عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى...)). وعلينا أن نعتصم بحبل الله –القرآن - في كل أمورنا.

(٢) حددوا أهدافكم بوضوح، وأهمها الدفاع عن مأرب؛ فمعركة مأرب هي معركة فاصلة وعادلة، فالعدو جاء إليهم، وحَسْبُ أهل مأرب أنهم يدفعون عن أنفسهم العدو الصائل عليهم وعلى بلادهم وأموالهم، فيتعيَّن عليهم وعلى كل من كان على مسافة قصر دفع العدو الصائل وقتاله إذا لم يندفع إلا بذلك، فإن لم يَفُوا فعلى من بعدهم وهكذا..، وينبغي على المسلمين عامة دعمهم في قتالهم هذا بما يستطيعون. قال ابن تيمية: «إذا دخل العدو بلاد المسلمين فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب؛ إذ بلاد المسلمين كلها بمنزلة البلد الواحد» [الفتاوى الكبرى (٤/ ٦٠٩)].

وقال ابن تيمية: «والصائل المعتدي يستحق دفعه سواء كان مسلمًا أو كافرًا وقد قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ((من قُتِل دون ماله فهو شهيد ومن قُتِل دون دمه فهو شهيد ومن قُتِل دون دينه فهو

شهيد)) فإذا كان المظلوم له أن يدفع عن مال المظلوم ولو بقتل الصائل العادي فكيف لا يدفع عن عقله وبدنه وحرمته..» [مجموع الفتاوى (١٩/٥٦)].

ودفع الصائل المعتدي لا يحتاج شروط جهاد الطلب ولا إلى وضوح الراية؛ لأنه من جهاد الدفع فلا يشترط له تلك الشروط، قال ابن تيمية: «وأما قتال الدفع، فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين فواجب إجماعًا؛ فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط، بل يُدفع بحسب الإمكان، وقد نص على ذلك العلماء، أصحابنا وغيرهم» [الفتاوى الكبرى (٥/٥٣٨)].

وقال – أيضًا –: «ويجوز للمظلومين – الذين تُراد أموالهم – قتال المحاربين بإجماع المسلمين. ولا يجب أن يُبذل لهم من المال لا قليل ولا كثير إذا أمكن قتالهم.. وهذا الذي تسميه الفقهاء (الصائل) وهو الظالم بلا تأويل» [مجموع الفتاوى (٢٨/٣١٩)].

وقال: «وإذا كانت السنة والإجماع متفقين على أن الصائل المسلم إذا لم يندفع صوله إلا بالقتل قتل» [مجموع الفتاوى (٢٨/٥٤٠)].

ويجب ألا يكون من ضمن الأهداف ما يسميه متحدثي الحكومة – في كل مناسبة –: الحفاظ على الجمهورية في مواجهة الكهنوت الإمامي.. طالما أن النظام الجمهوري لا يحكم بما أنزل الله، وكان هو أحد أسباب هذه المأساة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم)) [رواه ابن ماجه (٤٠١٩)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٦)].

فتلك الشعارات الجاهلية العلمانية لن تجدي نفعًا، ولن ينفعكم اليوم إلا الالتجاء إلى الله وحده، والاستنصار به، والأخذ بأسباب النصر التي ذكرها الله عزَّ وجلَّ بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ٤٧﴾ [الأنفال].

يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى-: «فأمر المجاهدين فيها بخمسة أشياء ما اجتمعت في فئة قط إلا نُصرت وإن قلَّت وكَثُر عدوُّها:

أحدها: الثبات.

الثاني: كثرة ذكره سبحانه وتعالى.

الثالث: طاعته وطاعة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الرابع: اتفاق الكلمة وعدم التنازع الذي يوجب الفشل والوهن، وهو جند يقوي به المتنازعون عدوهم عليهم؛ فإنهم في اجتماعهم كالحزمة من السهام لا يستطيع أحد كسرها فإذا فرقها وصار كل منهم وحده كسرها كلها.

الخامس: ملاك ذلك كله وقوامه وأساسه وهو الصبر.

فهذه خمسة أشياء تبتنى عليها قبة النصر، ومتى زالت أو بعضها زال من النصر بحسب ما نقص منها، وإذا اجتمعت قوَّى بعضها بعضًا، وصار لها أثر عظيم في النصر، ولما اجتمعت في الصحابة لم تقم لهم أمة من الأمم، وفتحوا الدنيا ودانت لهم العباد والبلاد، ولما تفرقت فيمن بعدهم وضعفت آل الأمر إلى ما آل...» [الفروسية ص(٥٠٥ - ٥٠٦)].

خاصة في مواجهة مشروع إيراني توسعي صفوي يتمسح بعقيدة ويضحك بها على العوام، متحالف مع اليهود والنصارى لتفتيت وتفكيك الأمة الإسلامية وإضعافها.

(٣) السعي لقطع الإمدادات عن الحوثي برًّا وجوًّا في مختلف مناطق اليمن التي تصلهم الإمدادات منها، والتعاون مع أحرار اليمن في ذلك.

(٤) الاهتمام بالتوعية ونشر العلم والإيمان والوعي في اليمن، وهذا دور العلماء والدعاة وطلبة العلم والإعلاميين.. فإن كثيرًا ممن يجندهم الحوثي جُهَّال مغرر بهم، ولا يعرفون حقيقة المعركة وماذا يُراد بهم..

نصر الله تعالى مأرب وعباده المؤمنين في كل مكان، وخذل الحوثيين وحلفاءهم، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.